حول العرب والعروبة

الناشـر : الـدار المصريـة اللبنانيـة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٨٩٥٧/ ٩٦
الترقيم الدولى : 6 - 288 - 270 - 977
جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : جمادى الأولى ١٤١٧ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٦ م

نجيب محفوظ

حول العرب والعروبة

أعده للنشر

فتحى العشرى

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل ، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل . . الشخصية ، الحياة اليومية، المسكن والملبس ، المأكولات والمشروبات ، نوع السجائر ، النظارات والساعات ، . الأوراق والأقلام ، الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ، المقاهى والكازينوهات ، السير فى الصباح والمساء ، القاهرة والإسكندرية . .

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت ، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ . . ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟ .

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية ، فيما عدا الصحف والمجلات ، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية ، فيما عدا « وجهة نظر » الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام . .

وظهـرت بكثافـة أضـواء وكـاميرات السينما

والتليفزيون، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات ، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات ، سواء كانت تهانئ أو عقودًا أو دعوات ، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية ، أو صور الراغبين الشخصية ، أو البطاقات المرسلة .

وكثيرًا ما حدث ويحدث وضع عُمْلة ورقية من فئة الدولار أو الإسترلينى فى المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد ، فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع .

ولهذا يقول نجيب محفوظ : « لقد أصبحت موظفاً عند نوبل » أو جائزة نوبل ، أومؤسسة نوبل .

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمى على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

إن ما حدث قد فاق كل التوقعات التى لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام ، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد ؟! . . أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى

بعد إعلان اسم الفائز الجديد ؟! وبالتالى هل تختفى العادات الطارئة ؟! أم أنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عادات نجيب محفوظ الأصيلة ؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل ؟!

أسئلة لايمكن الإجابة عنها .

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة : زوجته وابنتاه ، فيمكن التأكيد على أنها « أسرة ضد الأضواء »، وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها ، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل ، ربما بفضل مبادرة « الأهرام» بنقل مركز الثقل إلى « قاعة توفيق الحكيم » التى تحمل رقم ٦٠٦ ببرج الأهرام ـ الدور السادس ، والتى لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ ، الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنبة الطويلة فى مواجهة مكتب الحكيم .

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً، فقد بدأت عام ١٩٠١ ، فيما عدا

السنوات التى لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة . . هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربى يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سونيكا ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربياً واحدًا لم يفز قبل نجيب محفوظ بأىٍّ من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية ، فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات .

وأخيرًا فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التى كانت مرشحة معه ، و المنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية .

ولا بد من ذكر سبب جوهرى يتمثل فى أن نجيب محفوظ لايختلف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدر من ناحية أخرى ، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ، ولنجيب محفوظ نفسه ، وللجميع أيضاً .

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها ، فمنذ إعلان نبأ الفوز و هو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يختف عن الأنظار ، ولم يردّ أحدًا ، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى «ستوكهولم» لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر . .

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى ، فى حين أنه على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، وارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تُطبع وتُنشر فى مصر وحدها ، بل فى لبنان ، والعراق وسوريا والأردن ،

والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفى مناطق كثيرة من العالم ، مضافة إلى الدول التى ذكرناها من قبل .

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون فى الوطن العربى قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتليفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله فى السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة .

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية فى تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال .

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت فى نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة .

ووقعت الواقعة . .

صحيح أن جائزة نوبل العالمية فى الآداب لم تكن وساماً على صدر الكاتب المصرى الكبير نجيب محفوظ فحسب ، ولكنها كانت وسامًا على صدر مصر والوطن العربى كله . . وصحيح أيضاً أن طعنة السكين الغادرة قد انغرست فى عُنق الكاتب الكبير كما

انغرست فى عُنق كل مواطن صالح على أرض الكنانة ، وكل إنسان شريف فى العالم أجمع . وإنْ كانت الجائزة قد حققت كل أهدافها فى رفع راية العروبة واسم مصر، فإن الطعنة لم تحقق أى هدف ،فقد نَجَّى الله الرجل وأنعم عليه بالشفاء، وأكرمه بمواصلة العطاء ، وطمأن قلوب أهله وأصدقائه ومحبيه ومواطنيه والمدافعين عن حق الحياة وحق الرأى ، المناضلين ضد التطرف والإرهاب .

لقد تحولت الطعنة الغادرة إلى جائزة أكبر ، ووسام أرفع ، وصفحة ناصعة ، ليس فى تاريخ الرجل وحده، بل فى تاريخ الأمة أيضًا ، بعد أن حاولت الأيدى القذرة تحويل التكريم المشرف إلى تجريم آثم ، وقلب الإشادة الكريمة إلى إدانة دنسة ، وتغيير الأمان الهادئ إلى غدر هادر ، واستبدال الحرية المطلقة بالحركة المقيدة ، ولكن إرادة الله كانت أقوى ، وسيف العدل كان أمْضَى ، وشجاعة الرجل كانت أصلب ، وحب الناس كان أرحم ، هذا الحب الذى كسر السكين وقبض على اليد المخضبة بالدماء ، وتضرع إلى الله العلى القدير أن يلطف بشيخوخة الرجل الطيب وبجسده النحيل ، حتى تظل يده ممدودة لمصافحة الجميع ، وهامته مرفوعة فى ظل الجميع .

وهذه المجموعة من الكتب هى باكورة منشورات الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة ، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب من نجيب محفوظ .. وهى مقالات كتبها نجيب محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل ـ من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٧ ـ على أمل نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة ، ومنذ الأربعينيات وحتى الآن !

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه المقالات فى ثلاثة كتب أولاً ، هى : « الدين والديمقراطية » ، و « الشباب والحرية » ، و « الثقافة والتعليم » ، لتكون البداية ، بعد أن أضاف نجيب محفوظ إلى كل منها كلمة « حول » ، تعبيرًا عن تواضعه المعهود .

وهكذا تحققت تلك الفكرة ، وظهرت تلك المقالات إلى النور . .

وهذه المجموعة الجديدة من الكتب التى تضم وجهة نظر كاتبنا الكبير نجيب محفوظ تبدأ قبيل حصوله على جائزة نوبل فى أكتوبر عام ١٩٨٨ ، وتنتهى مع الطعنة الغادرة فى أكتوبر ١٩٩٤

. . وتتكون من خمسة كتب ، هى : « حول التدين والتطرف » ، و « حول العدل والعدالة»، و « حول التحرر والتقدم »، و « حول العلم والعمل » ، و«حول العرب والعروبة ». .

إنها بحق حوليات نجيب محفوظ التى نرجو ونأمل أن تستمر فى الصدور حتى تستوعب كل ماكتبه الكاتب الكبير من وجهات نظر وآراء مختلفة ، بعد أن ظلت كتبه مقصورة على إنتاجه الروائى والقصصى والمسرحى، دون مقالاته ذات المستوى الرفيع الذى لا يقل بأى حال عن مستوى أعماله الإبداعية الشهيرة . . عندئذ يحق لنا أن نتوجه بالشكر والتقدير لناشرنا المثقف محمد رشاد الذى تحمس لهذا المشروع القومى الكبير ، كما توجهنا إليه بالشكر والتقدير عند بداية تنفيذ هذا المشروع .

والثقة كل الثقة ، فى أن تحظى هذه الكتب بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية . . والثقة كل الثقة ، فى أن تترجم هى أيضاً إلى معظم لغات العالم ، بل كل لغات العالم . . والله هو الموفق دائماً !

فتحى العشرى

بين الواقع والحلم

فى حياتنا واقع ، وفى حياتنا أيضاً حلم . أمَّا الواقع فهو جملة الحقائق التى تنظم مسيرتنا فى الداخل والخارج ، وأما الحلم فهو ما نود أن نكونه غدًا أو بعد غد . وشعوب كثيرة تماثلنا فى ذلك ، ولكن لعلنا وحدنا الذين يتصرفون أحياناً بوحى من حلمهم لا من واقعهم ، فيتعرضون بذلك لمتاعب ما كان أغناهم عنها . فما هو واقعنا ؟ وماهو حلمنا ؟

واقعنا فى الداخل أننا نُجاهد بصبر وعزم تحديات محفوظة ، مثل تهلهل هياكلنا الأساسية ، والاختلال المفزع بين إنتاجنا واستهلاكنا ، وديوننا ، وتكاثرنا المتصاعد ، وآفاتنا الاجتماعية المهلكة . . وواقعنا فى الخارج أننا ذو علاقة خاصة بالولايات المتحدة ، ومعاهدة سلام مع إسرائيل ، ومقاطعة شبه شاملة مع البلاد العربية . أما حلمنا فهو أن نحقق نهضتنا من ناحية ، وأن نستعيد دورنا العربى التاريخى من ناحية أخرى . وكما قلت ، فطبيعى أن يكون للأمة واقع وحلم ، وطبيعى أيضاً أن تسعى إلى تحويل الحلم إلى واقع ، مع الحرص على إيجابيات واقعها الأول ، أما غير الطبيعى فهو أن تعمل بوحى من الحلم كأنه واقع ، أو أن تتجاهل الواقع الحقيقى .

من حقنا وواجبنا أن نحتج على كل عدوان ، وأن نغضب لأى خرق

للقانون الدولى . . ومن حقنا وواجبنا أن نهدى عواطفنا الطيبة ، وأن نسدى نصائحنا الخاصة ، بل وأن نسعى فى الخير ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، ولكن ليكن ذلك دائماً فى نطاق الواقع ودون تجاوز للحقائق ، ومع الحرص الكامل على المصلحة العامة ، واستقرار الوطن وأمنه وسلامته وكرامته . ودون تورط فى فعلٍ أو موقف من شأنه التفريط فى صديق مؤكد لمصلحة صديق محتمل ، أو زلزلة واقع راهن لحساب حلم لم يتحقق بعد . ولا يعنى هذا أننى مع الواقع دون قيد أو شرط ، ولا أننى ضد الحلم بحالٍ من الأحوال ، ولكن الأمانة والإخلاص والصدق تقتضى أن أعلن ما كتبت .

(١٩٨٦/١/٢)

القومية العربية بين الواقع والحلم

القومية العربيةُ حلم كل عربى أمين ، أمَّا واقع العرب فهو ما ترى وما تسمع مما لا حاجة بى إلى عرضه . وللقومية العربية أعداء فى الخارج لايمكن الاستهانة بقوتهم ، كما أن لها معارضين داخل كل بلد عربى لأسباب شتى ، وفضلاً عن هذا وذاك فهى تحتاج إلى خطوات تمهيدية حتى يصلب عودها وتنضج فكرتها وتستقر فى القلوب والإرادات .

من سوء الحظ أن العرب تصرفوا فى ظروف تاريخية خطيرة بوحى من الحلم كأنه واقع ، متجاهلين الواقع الحقيقى، فباءوا فى كل مرة بخسران عظيم . فعلوا ذلك عام ١٩٤٨ عندما قرروا خوض الحرب دفاعاً عن فلسطين ، معتمدين على وَهْمِ وحدتهم ، متجاهلين أنهم فى واقعهم بلدان متفرقة خاضعة لأكثر من استعمار غربى ، ولو وقفوا عند حدود واقعهم لكان الفلسطينيون جميعاً اليوم فى فلسطين تحت أى صيغة يتم الاتفاق عليها بينهم وبين اليهود ، ودولة الانتداب ، وهيئة الأمم ، وحتى لو كان قُضِىَ عليهم بظلم قليل أو كثير فالظلم لايدوم ، وحسبك أن تذكر ما يجرى اليوم فى جنوب إفريقيا ، ولكن التعامل مع الحلم ضيع فلسطين ، وشرَّدَ الفلسطينيين، وأنزل الهزيمة بالدول العربية مجتمعة . وفعلوا ذلك تحت مظلة زعامة عبدالناصر ، فارتفع صوت الوحدة ، حتى خال الأعداء أنها قريبة حقًّا ، وغطى على أصوات كثيرة كانت

تغمغم هنا وهناك ، مكرسة التفرقة ، بل مضمرة العداء ، وجاءت النتيجة مفجعة مخزية يوم ٥ يونيو الأسود .

خير ما يقال للعرب فى حاضرهم المحزن ما نادَى به الشيخ النبيل سقراط : «اعرف نفسك» . وخير ما يُذَكَّرُون به قول القدير المتعال : ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ، وليذكروا بعد ذلك وقبل ذلك أن وحدتهم هى الحُلم المنشود لا الواقع القائم ، وأن دورهم اليوم أن يحققوا السلام على أساس الواقع ، وأن يبحثوا عمّا لا يختلفون فيه ليعملوا فيه بهدوء وإخلاص ومثابرة ، ولن يتهيأ ذلك مثلما يتهيأ فى مجالى الثقافة والتكامل الاقتصادى ، وليتركوا الباقى للزمن ، وهو طبيب حكيم فى جبر الكسور وتضميد الجراح واسترداد الحقوق الضائعة .

(٩ / ١ / ١٩٨٦)

نحو وحدة عربية جديدة

تاريخنا الطويل يشهد بأن موقعنا المتوسط بين جناحى العالم العربى جعلنا الملتقى والمنطلق لتياراته المتضاربة ، كما فرض علينا دورًا نؤديه لضم الجناحين ، أو مَدِّهما بالقوة التى تمكنهما من التحليق ، أو فى الأقل دَفْعِ الأذى عنهما ، وكأنما ندفعه عن أنفسنا . وإنْ أردت شواهد على ذلكَ فارجع إلى العهد الفاطمى ، أو عهد صلاح الدين ، أومحمد على ، أو جمال عبد الناصر . بل ارجع إذا شئت إلى العصر الفرعونى نفسه .

من أجل ذلك حق لنا أن نقول عن دورنا العربى : إنه قَدَرُنَا الذى لا فكاكَ منه . ولكن الزمن تغير ، فما كان صالحًا للأمس لم يعد صالحًا لليوم . اليوم تقوم على ساحة العالم دول عملاقة تغطى استراتيجيتها خطوط الطول والعرض ، وتتدفق مسئولياتها ومصالحها بغير حدود . وتهيأ المسرح لرواية جديدة ، وبالتالى يجب أن تتغير الأدوار ، وأن تتساءل الأمم الصغيرة عمَّا بقى لها فى العالم الجديد من دور يناسب حجمها ويليق بمجدها معًا .

ولأن هذا السؤال لم يستوعبه محمد على ولا جمال عبد الناصر فقد انتهى كل منهما بنكسة أَوْدَتْ به وأوشكت أن تودى بوطنه . فهيهات أن نلقى اليوم ما يليق بنا فى مجالات الزعامة أو القوة أو السياسة ، ولكنَّ

أمامنا مجالاً آخر فى الحضارة بما تحوى من تراث ومعاصرة ، وهو القيمة الحقيقية التى تعتز الإنسانية بإبداعها فوق الأرض . وفى هذا المجال تُقاس الهمم لا بالحجم ولا بالكثافة ولا بالقوة ، ولكن بالقيمة والفائدة وحُسْن الأَثَر .

إن دورنا الحقيقى أن نتعلم ونتثقف ونبدع ، وأن نعطى العالم مثلما نأخذ منه . وحَذارِ أن تظن أننى أدعو إلى الانعزال عن الأمم العربية ، ولكننى أدعو إلى وحدة تنهض أساساً على التكامل الاقتصادى والثقافى والعلمى ، بعيدًا عن التحدى والاستفزاز وتبديد المال فيما لايفيد . فلنعرف دورنا ، ولنتهيأ لإتقانه ، ولنتخلَّ عن أحلامٍ مَضَى عهدها وانقضى ، ولنؤمن بكل قوة بأن دورنا الجديد أعظم من سابقه وأبقى .

(١٦ / ١ / ١٩٨٦)

هذا العيد

مازلنا نعتبر يوم ٢٢ فبراير عيدًا للوحدة ، وقد يبعث ذلك فى حالنا الراهنة الدامية المتردية على الأَسَى ، أو إنْ شئت على السخرية . ولكنَّ الإصرار على تكريسه عيدًا برغم ذلك تذكيرٌ لا بأس به بطموحٍ قديم إلى تحقيق حُلم للقوة والمجد ، ومواجهة التحديات بقلب واحد عامر بالثقة ، مستند إلى نُبل أثيلٍ ، وماضٍ عريق متطلع إلى غدٍ حافل بالرغبة الصادقة فى التحرر والنهوض وتحقيق الذات .

وقد خرجنا من تلك التجربة المرة بيقين بأن السياسة بحر يموج بالإغراء والشقاق ، وتصطخب أمواجه بالأحقاد والأنانية ، وأنَّ على العرب إذا التمسوا لأنفسهم مرفأً فى هذا البحر فعليهم أن يُنَحُّوا جانبًا ما يختلفون فيه ، وأن يتوجهوا بكليتهم إلى ما يتفقون عليه ، فإن يكن لا مفر من خلافٍ فَلْيَنْأَ رسوه ماشاء لهم الهوى تحت شرط ألاَّ يجور على مايتفقون فيه ، أو يعطله ، أو يؤجله ، أو يضعفه . وثمة تجارب تؤكد إمكان ذلك، مثل نجاح بعض المؤتمرات العلمية والفنية ، والتعاونيات الاقتصادية ، تمت جميعها فى حمأة الخلافات السياسية .

ولا خلاف بيننا ولا تناقضات فيما يتعلق بالثقافة والاقتصاد . لنا أصول ثقافية مشتركة ، وشغف واحد بأشكالها المختلفة ، ووجداننا وعقولنا متفتحة حَسَنَةُ الاستقبال لما يلقى فيها من إبداعات العقول

والقلوب . كذلك فإن اقتصادنا متكامل فى جملته ، بين شعوب تعج بالسكان ، وأخرى يتوافر لها المال ، ولدينا أرض شاسعة يمكن أن تهيىء لنا الغذاء والكساء ، وأن تحررنا من ربقة الحاجة إلى الغير . وإذا اقتصر السعى على الثقافة والاقتصاد تحققت لنا وحدة الروح والمادة ، وأحرزنا قوة وارتفاعًا على جميع مستويات الحياة . ولعل الهدف الأخير الذى ضللنا السبيل إليه يأتينا بعد ذلك سعيًا بغير جهد ولا عقبات .

يقال : إن المِحَن تُعَلِّمْ الإنسان ، وأظن أنه قد أصابنا منها ما يكفى لتعليم أهل الأرض جميعًا .

(١٩٨٧ / ٢ / ٢٦)

توحيد القطرين

مصر الفقيرة تعانى مُرَّ المعاناة . تخطف لقمتها من بين أنياب وحش الغلاء الضارى . يشغلها الصراع عن المسرات والقيم ، عن كل شىء ، حتى المأوى والدواء . يمضى العُمر فلا يهنأ لها قلب ، أو يتغذى لها عقل . الآباء كادحون ، والأبناء ضائعون ، حياتها حاضر مُحزن بلا ذكريات ولا وعود .

ومصر الغنية تتخبط فى نسيج حضارة أخرى تلهو بثمار الحضارات المتقدمة ، أموالها مُجَمَّدة أو مهربة أو مبعثرة ، سكرى بالترف . سلوكها استفزازى ، نسيت تماماً أنها منبثقة من مصر الفقيرة ، حتى التحية لا تردها ، واللّغة لا تتكلمها . لها ملاهيها وفنها ، وأحلامها من صنع يديها .

والحكومة قلقة بين الجانبين ، تتكلم بلغة الفقراء مرة وبلغة الأغنياء مرة ، تود أن تُوَحّد القطرين وتُزواج بين النقيضين ، وفى سبيل ذلك تُنفّذ الخطة بعد الخطة ، وتخاطب بلغة ديمقراطية ، وتلوح برايات القانون ، وتدعو إلى العمل والإنتاج .

فى هذا الجو تتكاثر الجراثيم ، ويثب المحبطون فوق القانون ، وتتكاثف سُحب الاحتمالات المخيفة فى أُفق الغيب .

ماذا يُطْلَبُ من الحكومة ـ بالإضافة إلى جهدها المبذول ؟ إنَّ عليها أنْ تُنقى ساحتها من شوائب الاستثناءات وسوء السمعة ، وأن تقدس القانون وحقوق الإنسان ، مع المزيد من العزم والحزم .

وماذا يُطلب من مصر الغنية ؟

عليها أن تصحو من غيبوبة الأنانية ، وسكرة اللحظة الراهنة ، وأن يؤدى أبناؤها للدولة حقوقها ، ويستثمروا فائض أموالهم فى الخطة ، فذلك دفاعًا عن أنفسهم قبل أن يكون دفاعاً عن الوطن .

وماذا يطلب من مصر الفقيرة ؟

لقد تحملت فوق ما يتحمل البشر ، فلم يَبْقَ إلاَّ أن تشحذ وعيها لتعرف طريقها ، وأن تكرر الحكمة التى تعلمتها من تاريخها الطويل ، وهى : أنَّ المحنة لا تقضى على الإنسان ، ولكنها تكشف عن جوهره فَيَشُلُّ إرادته ليتحدى التحديات .

(١٠ / ٩ / ١٩٨٧)

وحـدة الأساس

أُعلنت العلاقات الرسمية بين مصر وبلاد عربية كثيرة ، وقد اعترفت رسميًّا بروابط حميمة لم تنقطع يومًا على مستوى الواقع . أمَّا مغزاها فذو تأثير مبين ، وذو صدى طيب فى نفوس ملايين تعتبر شعوبها أمة واحدة، وعلينا نحن أن نجعل منها حقيقة موضوعية ، ومنطلقاً لحياة جديدة طيبة ،ولكن قبل الخطو علينا أن نرسم خريطة بالحدود والإمكانات ، نقرأ فيها بوضوح ماهو الممكن وماهو المستحيل ، وماهو المتاح وماهو غير المتاح ، لنعرف مواقع الأقدام على ضوء الوضع الواقع والسياسة العالمية ، ونهدى من دروس التاريخ القريبة والبعيدة .

وأول ما نبدأ به هو أن نتصدى للمشكلات الراهنة والأخطار المحدقة بما يحقق فى النهاية السلام الدائم العادل للمنطقة كلها . وأُمتنا أشد ما تكون حاجةً إلى السلام والاستقرار لتركز قواها فى بناء وحدتها الاقتصادية والثقافية ، وهى وحدة تعود على جميع الأطراف بالخير والتقدم ، وتضعها فى موقف موحد حيال التحديات الغليظة ، مثل رفع مستوى المعيشة ، والاندماج فى العصر العلمى ، والتحصن بقوة دفاع تحقق لها وزناً وكرامة وأى نجاح نُحرزه فى هذا المضمار جدير بأن يدعو المترددين إلى تجاوز الخلافات ، وتغيير النظرة إلى الحاضر والمستقبل .

والتوفيق فى إقامة الوحدة الاقتصادية الثقافية يمهد الطريق لما هو أخطر وأهم ، بدون تعرض لمشكلات داخلية أو خارجية ، بخلاف البدء بالتطلعات السياسية الذى يتعثر عادة - كما عَلَّمَنَا الماضى - فى غمار المؤامرات الداخلية والخارجية . وما ينبغى أن ننسى أن تلك التَّطَلُّعات قد أُجهضت ، وما أكثر الدروس والمحاذير . ولكن حمدًا لله ، فإن خُطَّتَنا فى هذا العهد الرابع من ثورة يولية تتسم بالحكمة واليقظة ، وتخلو من الانفعالات والاندفاعات ، فلنأمل خيرًا ، ولنعمل بغير تَوانٍ ، ولنتوكل على الله .

(١٩٨٧/١٢/٣)

دم الثوار

ثار الفلسطينيون بالأرض المحتلة ، ثاروا على قوى الفناء التى تتهددهم وتزحف عليهم تبغى طردهم من وطنهم ، أو محوهم من الوجود . تحدوا ومازالوا يتحدون الطغيان المسلح بغضبهم الشريف الأعزل من السلاح . لهم فى السابقين من المتحررين قدوة ممن ثاروا بغير سلاح ، فانتصروا بالصبر والمعاناة والإصرار ، وبقوة الحق التى لا يُعلى عليها . فليكن أيضاً للإسرائيليين عظة فى الطغاة من المستعمرين الذين غرتهم قوتهم ثم انهزموا أمام قوة الحق والعدل . كم أملنا يوم عقدنا الصلح مع إسرائيل أن يكون فرقاناً بين عهد وعهد ، بين تفكير وتفكير ، بين أسود وأبيض ، وأن يكون حجر الأساس فى صرح سلام شامل عادل يغير من حاضر المنطقة ومستقبلها . وسرعان ما انصبت علينا خيبات الأمل فى سلسلة من الاستفزازات العدوانية ، بدءًا من ضرب المفاعل الذرى العراقى ، ومرورًا بالهجوم على لبنان ، وأخيرًا بالتصدى للمناضلين العُزّل ضرباً وقتلاً واعتقالاً ونفياً .

لقد اهتز ضمير العالم يومًا للاضطهاد الذى حاق بكم أيها الإسرائيليون ، وغالى فى إنصافكم بخلق وطن لكم ، ولكن على حساب أهله الذين شرّدوا فى الأرض ، وقد آذيتم هذا الضمير العالمى بفعالكم وأصممتم آذانكم عن تلبية ندائه بالرجوع إلى شىء من الحق . كان أولى

بكم أن تلبوا نداء الحق بدون دعوة ، إلاَّ دعوة ضمائركم التى عانت الاضطهاد والظلم ، وكابدت الطغاة والظالمين . كيف تتطلعون إلى الاستعمار بعد أن تحول عنه رجاله ؟ وكيف لم توفوا بما وعدتم به بأن تكونوا أُمَّة عدل وحرية وأخلاق ؟ .

إنها مأساة بكل معنى الكلمة ، بالنسبة للواقع الدامى ، وبالنسبة للذين مَنَّوْا أنفسهم بالسلام العادل الشامل . وبرغم كل شىء فنحن لا نريد أن نفقد الأمل ، وننتظر بين ساعة وأخرى أن يعلو صوت الحق ، وأن تنتصر مشيئة الخير .

(٢١ / ١ / ١٩٨٨)

الحـــرب

حامت أحلام صبانا وشبابنا حول الاستقلال والديمقراطية والنهضة بصفة عامة ، أَمَّا الحرب فلم تخطر لنا على بال ، أو تجرى لنا فى خاطر، كأنها قَدَرٌ لايجوز علينا . من عجب بعد ذلك أننى شهدتُ وطنى يخوض حروباً متلاحقة لم يتهيأ لفرد فى جيلٍ واحد أن يشهد نظيرها فى كثرتها . شهدتُ حرب ١٩٤٨ ، و١٩٥٦ ، و١٩٦٧ ، و١٩٧٣ ، بالإضافة إلى حرب اليمن . كما كابدتُ عواقبها الوخيمة مع الملايين فيما أهلكت من أنفس وأموال ، وخربت من هياكل أساسية وزراعية وصناعية ، وفيما جَرَّتْ على المواطن من انحلالٍ وفسادٍ وتسيب ، وتحلل من التقاليد العريقة والسلوكيات الحميدة ، بل إننا مازلنا نعيش بصورة مَّا فى جو الحرب ، فمنا من يتطوع للقتال مع العراق الشقيق ، ومنا مَنْ تراوده أفكار عن الاشتراك فى حرب الخليج ، وكأنهم يرددون مع القائل : « وَدَاوِنِى بِالَّتِى كَانَتْ هِىَ الدَّاءُ» .

والحرب كريهة ، ولكن قد تُفْرَضُ علينا فرضاً فى حال الدفاع عن النفس ، فهذه حرب مقدسة ، يخوضها الإنسان حتى لو لم يكن مستعدًّا لها ، أو كُفْئًا للعدو المهاجم . وقد تقتضى ظروف مُلحة قاسية أن نخوض حربًا فى غير دفاع مباشر عن وطننا ، ولكن فى تلك الحال لابد من توافر شروط ضرورية :

أولاً : أن يكون الهدف من الحرب واضحاً ، ومقنعاً للجندى والمواطن ، بحيث تهون عليهما التضحية مهما غلت .

ثانياً : أن يكون لنا جيش قوى قادر على تحقيق النصر ، وتَحَمُّلِ أهوالها حتى لو طال زمنها عَمَّا قُدِّرَ لها .

ثالثاً : أن يكون الوطن مؤهلاً للحرب من جميع النواحى الاقتصادية والنفسية والاجتماعية .

الحرب، ليست فروسية ولا عاطفية ، ولكنها مسئولية تاريخية ، ومصير قد يتقرر لمئات السنين أو إلى الأبد .

(١٠ / ٣ / ١٩٨٨)

الهوية والهدف

كثيرًا ما يتساءلون : مَنْ نحن ؟ يقولون : علينا أن نعرف هويتنا لنحدد هدفنا ، لكن الواقع هو الذى يحدد الهدف . هدفنا فى الحياة فى زمن مَّا ينبثق من واقعنا لا هويتنا ، لذلك قد تنشب حرب بين دولتين من هوية واحدة، أو يقوم تآلف بين دول من هويات متعددة . بل إن الهدف إذا اتضح واجتمعت حوله القلوب جَاَز له أن يختار الهوية المناسبة كعامل مساعد على تثبيت ذاته ، وترسيخها فى النفوس ، ونحن لنا هويات متعددة، وجميعها صادقة ، فنحن مصريون ، ونحن عرب ، ونحن من حوض البحر المتوسط ، وأخيرًا وليس آخرًا ، فنحن ناس من صُلب آدم وحواء .

فى عام ١٩١٩ أعلنا الكفاح لتحقيق الاستقلال ، فنادى سعد زغلول بهويتنا المصرية كصيغة يمكن أن تجمعنا فى النضال . وفى الثلاثينيات اشتد تطلعنا إلى الحضارة الغربيةفأعلن طه حسين انتماءنا إلى حوض البحر المتوسط .

وفى عام ١٩٥٢ حاقت الأخطار بالأمة العربية من كل جانب ، فدعا جمال عبد الناصر إلى القومية العربية . وفى السبعينيات وجد السادات أننا غرقنا فى مأزق وَجل لا تنتشلنا منه إلاّ مصريتنا ، فأرجعنا إليها ،

وحَرَّكَ نعرتها فى القلوب ، فكان العبور وتحرير سيناء والسلام . ولعل هدفنا اليوم هو التنمية الشاملة ، أو بذل الجهد للحاق بالعصر الحديث، وهو هدف حيوى لابديل له إلاَّ التحلل والفناء ، ويقتضى ضمن ما يقتضى الاستقرار والسلام . ولن يتهيأ لنا ذلك على أكمل وجه إلاَّ فى نطاق تكامل اقتصادى ثقافى عربى . من هنا وجب تجمع العرب فى وحدة روحية مادية راسخة ، لنستعين بتجمعنا على تحقيق السلام العادل فى شرقنا الدامى الممزق ، ثم السير الثابت بكل مافينا من أصالة إلى العصر الحديث .

(١٧ / ٣ / ١٩٨٨)

التكريم المنسى

فى أعقاب إعلان الجائزة تلقيتُ مكالمة تليفونية خارجية من أخٍ عربى يسألنى فيها عن شعورى بعد أن كَرَّمِنى العالم ولم تكرمنى أمتى !.

وقد عجبت لذلك أشد العجب ، فمهما تكن البداية ـ وهى لايمكن أن تخلو من صعوبات وعوائق ـ فقد تلقيتُ بعد ذلك من التكريم ما يُرضى القلب ، وينعش الهمة ، ويعين على مواجهة الشدائد . مُنِحْتُ جميع الجوائز الأدبية ، مثل جائزة الست قوْت القلوب الدمرداشية ، وجائزة المجمع اللغوى ، وجائزة وزارة المعارف ، وجائزة الدولة السابقة ، وجائزة الدولة التقديرية ، وأكثر من جائزة للسينما والتليفزيون . وأُهدىَ إلىَّ وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى ، وترجمت الإذاعة المسموعة والمرئية الكثير من أعمالى ، ودعتنى للحوار لدى كل مناسبة ، وكان الاعتذار يجيء أحياناً من ناحيتى صوناً لعينىَّ الضعيفتين ، ولنفورى الطبيعى من الحياة العامة . وأهم من ذلك كله ماحظيت به من إقبال الجمهور ، حتى مع قرار المقاطعة ، واهتمام النقاد والمفكرين ، وما تجشموه من جهد فى مؤلفاتى وتحليلها ، وجاء تكريم السيد رئيس الجمهورية تتويجاً لكل تكريم سابق (وإعفاءً إنْ شاء الله تعالى من كل تكريم لاحق) ، ففاق بكرمه الحلم والخيال .

فكيف يُقال بعد ذلك إنَّ أُمتى لم تكرمنى ؟ . . ومن عجب أن نسيان الفضل قد يجىء من جاحدٍ ، والدنيا لاتخلو من جاحدين ، أما هذه المرة فإن النسيان يجىء من أصحاب الفضل أو مَا نِعحيه ، فكيف حدث ذلك؟

وإذن فقد نلتُ من أُمتى التكريم الشامل الذى يجب أن يُذكَر مع الحمد والشكر فى كل حين .

(١/ ٩/ ١٩٨٨)

كنز للزمن الطويل

من الأحداث المبهرة للأبصار ، والمثيرة للإعجاب والإكبار ، ما أعلنته الفطرة العربية من صلابة وقوة وعزم وصبر وإيمان ، فى الحرب العراقية والثورة الفلسطينية . خاض الشعب العراقى حربًا ضروسًا طويلة جاوزت ثمانية أعوام عدًّا ، يناضل بشجاعة وإصرار ، ويقدم الشهداء فريقًا بعد فريق ، ويتعرض للصواريخ والقنابل ، فَتُخْلَى مُدُنٌ من سكانها ، وتعيش مدن تحت رحمة الموت ليلاً ونهاراً ، وتنحنى الهامات تحت وطأة طوارىء حال الحرب وما تفرضه على المواطن من التزامات وانضباطات وتقشف وتنازلات . حقًّا ، إنها لَصَلابة جديرة بكل فخر وثناء ، وذُخر يُدَّخَرُ لمستقبلٍ باهر !

أمَّا الثورة الفلسطينية فقد استمرت عامًا ، واستقبلت عامًا جديدًا ، لا تهن ولا تتوقف ولا تتراجع ، ولا تبالى بالوحشية والعذاب والحقد الأعمى . وقد عهدنا الثورات تحسب أعمارها بالأشهر ، ولا تتواصل المقاومة الفعالة إلاَّ إذا تهيأ لها من ظروف الطبيعة حصون كالجبال والغابات ، أما الثورة الفلسطينية فلا حصون لها تحتمى بها إلاَّ إيمانها بحقها المقدس ، وبسالتها الفائقة ، وبطولتها الخارقة النبيلة ، حقًّا إنها لَصلابة جديرة بكل فخر وثناء ، وذُخر يُدَّخر لمستقبل باهر .

ونحن لا نحب الحروب إلاَّ أن تكون دفاعاً عن النفس ، ولا ندعو للثورات إلاَّ أن تكون تطلعًا للتحرير والحرية والكرامة ، ولكن يسعدنا ولاشك أن تكشف الحوادث فى طبيعة شعبنا العريق عن عناصر قوة لابد أن تتحول مع الموجة الصاعدة إلى البناء والتعمير ، والإبداع والحضارة فى ظل السلام العادل . ترى هل آن لليلنا الطويل أن يسفر عن فجر مضىء ؟

(١٩٨٩/١/٢٦)

نحو التكامل والحضارة

من إنجازاتنا القومية الرائعة الاتفاقية الاقتصادية بين مصر والأردن والعراق واليمن الشمالية ، وعندما تُحقق أهدافها سيضمها التاريخ إلى سجل انتصاراتنا التى نعتز بها ، مثل تحرير سيناء، والعودة إلى الديمقراطية ، أرجو أن تكون الخطوة الأولى فى طريق التكامل الاقتصادى العربى ، أو الأساس المتين للبعث التنموى العربى الحديث. ومن المعروف أن قوانين الجامعة العربية تحوى مبادىء نهضتها وتقدمها ، ولكن الشئون السياسية استأثرت بالاهتمام ، ولما نشبت الخلافات أصبحت من دواعى التمزق والتفرق ، وصار مجرد الإشارة إلى الهموم الحضارية مثارًا للتهكم والسخرية ، وتناسينا فى حومة الغضب أنَّ عدونا الأول هو التخلف فى سباق العصر .

والبدء بالتعاون الاقتصادى بين الدول الأربع يدل دلالة قاطعة على أن التأجيل ـ انتظارًا للتكامل الكامل ـ لم يعد محتملاً ، وأن البدء بالجزء خيرٌ من انتظارٍ قد يطول ، وسيكون نجاحه دعوة عملية مفتوحة لكل متردد أو غافل . وهو أيضًا دليل على اليقظة وإنْ جاء متأخرًا ، لأهمية القاعدة الاقتصادية ، وقيمة الحضارة فى زمن أصبح يُقاس تقدم الإنسان فيه بِقيمةِ تَحَضُّرِهِ وعطائه ومشاركته فى النمو الإنسانى العام .

بل إنه زمن التجمعات والتكتلات الحضارية بديلاً عن التجمعات والتكتلات السياسية والعسكرية التى عُرِفَ بها التعامل بين الدول فى الماضى القريب والبعيد ، وهى تكتلات تقتضى شروطًا أكثر من مجرد القوة وحدها ، تقتضى تفوقاً فى العالم والإنتاج ، وتوسعًا فى الثقافة واحترام حقوق الإنسان . حقًّا إنَّ كل دولة عربية تمارس تنمية إقليمية بدرجات متفاوتة من النجاح ، ولكن التعاون يفتح لها آفاقاً جديدة للعمل ، وحلولاً جديدة للمشكلات ، ويمدها بقوة متجددة على المستويين المعنوى والمادى . أتمنى أن أرى مع كل طلوع شمس نورًا حضاريًّا مقبلاً .

(٩ / ٣ / ١٩٨٩)

الوحدة الثقافية

مهما تفرق العرب أو اختلفوا فثمة وحدة بينهم لا تغيب ، هى الثقافة . . قد تتعرض علاقاتها للضعف ، أو التوقف المؤقت ، أو المقاطعة ، ولكنها لا تغيب مطلقاً ، وتظل مطلباً روحيًا مُلِحًّا ، يقيم لنفسه دولة فوق الدول ، وصداقة بين العَداوَات ، وملتقى بريئاً طاهرًا تضحك فيه الشعوب من نزوات حكوماتها . من أجل ذلك حافظت على درجات متفاوتة من التواصل والتفاعل ، حتى فى عهود الاستعمار والشقاق والمنافسات الخرقاء ، ثم هَيْمَنَت قوتها مخترقةً السدود بفضل وسائل الإعلام الحديثة . ولكن آنَ لنا ألَّا نترك سريانها للرحلات والمعارض والمهرجانات والتهريب . لابد من إعداد وتنظيم ، وتحويل الاقتراحات المكدسة فى سجلات الجامعة العربية إلى حقائق فكرية وسلوكية .

نحن على أبواب ثورة تربوية للانتقال من عصر إلى عصر ، وتعد عقولنا وتقاليدنا لمستقبل جديد حافل بالصعوبات والمغامرات ، فعلينا أن نتبادل الخبرات والآراء لنهتدى إلى أسس جديدة لبعث العقول والأرواح ، وعلينا أن نتفق على سياسة طويلة للتبادل الثقافى ، والتعاون المثمر فى مجال الإذاعة المسموعة والمرئية ، ومثل ذلك فى الأهمية أن ينعقد مؤتمر من وزراء الثقافة والاقتصاد لإزالة العوائق التى تعترض تدفق الكتاب فى السوق العربية ، ولتحمى الفكر من المزورين وقطاع الطرق .

بل لعله قد آن الأوان لإنشاء شركة توزيع على المستوى العربى لتتيح للكتاب والأشرطة الوصول إلى كل مكان يُقْرَأ ويُسمع أو يُرى . وأضيف إلى ذلك اقتراحًا بإنشاء مؤسسة على المستوى العربى للترجمة من وإلى العربية ، منتفعة بكل الوسائل الحديثة لخلق نهضة تربطنا بركاب العالم المنطلق بسرعة الصاروخ .

الوحدة الثقافية بالإضافة إلى الوحدة الاقتصادية هما ممَّا نُنادِى به منذ سنوات . وهما الأساس المكين لبعث هذه المنطقة من جديد لتمارس دورها الحضارى المأمول .

(١٦ / ٣ / ١٩٨٩)

على جامعة الدول العربية أن تعيد النظر فى نشاطها على ضوء العصر، لا أبغى من وراء ذلك تغييرًا فى رسالتها التقليدية ، أو تعديلاً إضافيًّا فى ميثاقها ، ولكن لتتصدى بكل هِمَّة لاقتحام التحديات ، وحل المشكلات ، ومحو الخلافات ، وتوثيق التعاون والتآخى والسلام . وعليها أن تبذل نشاطاً مضاعفاً فيما يتعلق بحاضر حضارتنا ومستقبلها :

١ ـ عليها أن تنسق بين دولها فيما يحقق ثورة شاملة فى التربية والتعليم، وإعادة خَلْق العقل العربى ليواجه المستقبل بجدارة إنسانية لائقة .

٢ ـ عليها أن تقترح خطة ثقافية عامة لتعريف الفرد بذاته وعصره ، وإعادة الروح إلى وعيه ، متعاونة فى ذلك مع مراكز التعليم والإعلام .

٣ ـ عليها أن تقترح التشريعات الواجبة لحفظ حقوق الفكر والإبداع، وإيجاد السوق المشتركة للكتاب العربى ، والقضاء على المزورين واللصوص .

٤ ـ عليها أن تعيد النظر فى الخطة المتكاملة للاقتصاد العربى ، مستهدفة الاعتماد على الذات ، وتوفير الغذاء، وتشغيل الأجيال الجديدة .

٥ ـ عليها أن تعمل على إقامة جهاز ضخم للبحث العلمى ، وتوفر له احتياجاته من المال والنظام والكوادر البشرية .

هذه إشارة إلى تَوَجُّهٍ ضرورى غير قابل للتأجيل ، يجعل من الجامعة العربية مركز إشعاع للعلم والثقافة والرخاء ، ودار الحكمة التى ينتمى إليها كل عربى متطلع إلى الحياة والنور ..

(٦ / ٧ / ١٩٨٩)

النجوى بين الأشقاء

لا يملك أيُّ نظامٍ للحُكم قُوّى سحرية لحل المشكلات وتحقيق العدل والتقدم والرخاء . العبرة فى النهاية بالرجال ، والكفاءة والنزاهة والاستنارة ، ولايعنى ذلك أن جميع الأنظمة تتساوى كإمكانيات مطروحة للعمل والاختيار . . ستظل الديمقراطية متفوقة بما تهيئه من حرية وكرامة ورقابة واحترام لحقوق الإنسان ، وربما يحظَى فيها الفرد والشعب من المشاركة فى العمل ، والتعاون فى حمل المسئولية . فلا وجه لأن نعتبر الحُكم العسكرى السودانى هزيمة للديمقراطية ، فكم من حُكم عسكرى قد مُنِىَ بالفشل ، وكم من حُكم شمولى قد أوْدَى ببلاده إلى الخراب والوحشية .

وكان المأمول أن ينجح الحُكم الديمقراطى السودانى ليهدى إلى العرب مثالاً طيباً فى الممارسة ، كما أهدى إليهم مثالاً كريمًا بثورته على الظلم والاستبداد ، ولكن ساءت الأحوال برغم أنه تهيأ لها أطيب مناخ صحى للعمل . غلب الفساد والعجز والحزبية العمياء والقبلية ، وتدهورت الأمور فى الداخل والخارج . وما نملك اليوم إلاّ أن نتمنى للحُكام الجدد التوفيق والفلاح حتى لا يُهْدر زمنٌ آخر من عمر السودان

الغالى . كما نرجو لهم النجاة من مزالق حُكم الفرد ، وأن يعتبروا أنفسهم حقًّا فرقَة إنقاذ تستهدف العلاج الحاسم لكل داء مستفحل كى تُسَلِّمَ الأمْرَ فى النهاية إلى الشعب صاحب الحق الشرعى الأول فى حكم نفسه .

(١٢ / ٧ / ١٩٨٩)

٦ أكتوبر

عيد البعث والسلام . كان نصرًا ، ولكنه لم يكن نصرًا على عَدُوٍّ بقدر ما كان نصرًا على اليأس والكآبة والعبث والعدمية . انبعثت فيه الروح العربية متألقة متفتحة كما عهدها التاريخ فى الزمان الأول ، فتوجهت من منطلق تخطيط حكيم نحو واقعية رصينة تتصدى للمشاكل وتنشد السلام . . وقد اعتمدت تلك الوثبة التاريخية الكبرى على أساسين لا غِنَى عنهما معًا لأى وثبة حقيقية فى شعبنا ، هما : الإيمان والعلم . إيمان بالله تَخَطَّى بنا عقبات مادية ونفسية عنيدة ، وبَارَكَ خُطَى جنودنا فى ميادين القتال ومواجهة الموت ، وتنظيم دقيق ، وتدريب رائع ، واستيعاب كامل لأحدث وسائل القتال وأشدها تعقيدًا واقتضاءً للمهارة والذكاء . وهكذا تهيأ لنا فى لحظة تاريخية قيادة جمعت بين الحكمة والشجاعة والوطنية ، وجنود تَحَلَّوْا بالإيمان والبسالة والفدائية ، فانتشلوا مصر من مستنقع العار والهزيمة والقنوط ، وأنزلوها بدار العزة والكرامة ، وفتحوا لها أبواب السلام والاستقرار والحضارة .

كان ذلك جديرًا بأن يمهد للوطن سبيلاً لنهضة شاملة ، روحية ومادية ، وكم فرح المخلصون واستبشروا خيرًا ، فآمنوا بأن ليل الأحزان سيسفر عن صُبح مشرق بهيج . ولكنَّ الانتهازيين أثبتوا أنهم أشد وطأة وقسوة على هذا الوطن من أَعْدَى أعدائه . تربصوا كالغربان ، ثم

انْقَضُّوا من منافذ الانفتاح ، هازئين بتضحيات الشهداء ، وثكل الأمهات ، يجمعون المال الحرام ويهربونه ويعيثون فى الأرض الفساد، حتى أغرقوا البلاد فى الديون والمخدرات والانحلال والتطرف والعنف .

تذكر يوم السادس من أكتوبر وقُلْ : إننا سَنُصَفِّى الأوغادَ كما صَفَّيْنَا يوم الخامس من يونية ، وسنطهر البلاد من السم والأنانية والجشع . حسبنا أن نتمسك بالأساسين اللذين قام عليهما النصر ، وأى نصر ، وهما : الإيمان والعلم .

(٥ / ١٠ / ١٩٨٩)

فى الطريق الذهبى

ليكن أكتوبر شهر الذكريات الظافرة ، وكما أشَدْنَا بنصر السادس من أكتوبر فى ميدان الحرب والسلام نُشِيدُ اليوم بنصرٍ ثانٍ فى ميدان يعتبر فى عصرنا أخطر ميدانٍ للسَّبْقِ الحضارى ، ألا وهو العلم . نُشيد بما نُشِرَ فى صفحة الأهرام العلمية من اختيار العالم المصرى المهاجر لطفى بسطا ـ ضمن أربعة علماء على مستوى أمريكا ـ لينخرط فى سلك ٢٥ شخصية بارزة من القيادات السياسية والإعلامية والاقتصادية . وهو معدود من مستشارى الرئيس الأمريكى ، لنشاطه كأستاذ ورئيس قسم أمراض القلب بجامعة أوكلاهوما .

وفى فرنسا قرر المؤتمر الأوروبى الحادى عشر لأمراض القلب قبول بحثين هامين من عالمين مصريين بطب القاهرة ، هما الدكتور يحيى سعد ، والدكتور محسن إبراهيم .

ومن ألمانيا الغربية وجهت الأكاديمية الأوروبية للمناعة والحساسية فى مؤتمرها الدولى الرابع عشر الدعوة إلى العالم المصرى سمير خضر ، ود. منير المهيرى ليقوما بأبحاثهما المتخصصة .

وفى بريطانيا قام العالم المصرى د. أبو بكر فراج بإجراء بحوث على مرضى العظام أثارت أشد الاهتمام فى مجال اختصاصها .

تلك انتصارات علمية ، وهى ليست الأولى من نوعها ، وهى مقدمات لعصر من النور والابتكار والاكتشاف نرجو أن تتوالى أنباؤه من القاهرة والعواصم العربية ، كما تهل علينا من الخارج مُكَلَّلَة بالعِزةِ والتفوق .

والبحث العلمى لايعرف الحدود ، ولا يطيق القيود ، وينزع دائماً نحو الإنسانية الشاملة ، ولكن الظروف الحرجة التى يمر بها العالم الثالث توجب التركيز على مشكلاته الإنتاجية والعمرانية ، فلا بأس أن نركز البحث على حل ما يعترض نهضتنا من عقبات ، وأن يسهم بكل قوته فى التنمية الشاملة . كان يجب أن نكون المركز الأول لتخريج الباحثين فى الزراعة والرى وغزو الصحراء ، وأمراضنا المستوطنة ، ولكن حسبنا الآن أن البحث العلمى أصبح يُعَدُّ فى مقدمة همومنا الذهنية ، وأهدافنا الحضارية ، وموضع الرعاية والعناية .

(١٩٨٩/١٠/١٢)

نوبـــل ١٩٨٩

فاز السنيور كاميلو خوسيه ثيلا بجائزة نوبل هذا العام . تقول وكالة الأنباء الأسبانية : إنه ولد فى مدينة « إيريا فلافيا» فى ١١ / ٥ / ١٩١٦ من أب أسبانى وأم إنجليزية . وقد ظل معظم حياته محترفاً للعسكرية ، ومصارعاً للثيران ورساماً وممثلاً سينمائياً . وفى مطلع شبابه التحق بكلية الطب ، ودرس الفلسفة ، والحقوق ، ولكنه لم يستكمل دراستة بسبب وقوع الحرب الأهلية ، وهَوَى منذ صغره الدراسات الأدبية ، وخاض تجارب فى الشعر والقصة والمسرح ، وكانت أولى قصصه عائلة بسكو يلدوارات ، وتعد فى مقدمة الأعمال الروائية الأسبانية ، وترجمت إلى عشرين لغة . وامتاز بنشاطه الواسع فى إلقاء المحاضرات فى جامعات أوروبا وأمريكا ، كما اشتغل بالتدريس فى جامعات كثيرة ، وحَظِىَ بعضوية جمعيات علمية وأدبية متعددة .

وواجب علينا أن ننوه فى هذا المقال باهتمام أسبانيا بالأدب العربى، وإقبالها على ترجمة العديد من آثاره منذ ربع قرن ، وزيادة نشاطها فى هذا المجال بعد حصول مصر على جائزة نوبل فى العام الماضى .

وأقل ما يُنتظر منا لقاء ذلك أن تهتم مراكزنا الإعلامية والأدبية بالأديب الفائز ، وأن تجرى معه لقاءات تعريفية ، وأن يقدم المختصون دراسات عن أدبه ، بل يجب أن تُترجم أعماله إلى العربية ، كما ترجمت إلى

عشرين لغة من قبل . وهذا الكلام يُوَجَّه أول ما يُوجَّه إلى الدكتور سمير سرحان ، ليضيف إلى خدماته المتواصلة للكتاب خدمة جديدة تجمع بين الفن والوفاء .

ذلك ما كان ينبغى لنا الاهتمام به حيال جميع الفائزين بجائزة نوبل ، وغيرهم من الفائزين بالجوائز الإقليمية الهامة فى فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة ، ولو فعلنا ذلك لكان لنا اليوم مكتبة من الآثار الأدبية الرفيعة تُقدم لشبابنا الاستنارة والمتعة ، وتحفز المبدعين فى إبداعهم وجلاء أصالتهم . ولن يخيب رجاؤنا عند حاملى أمانة الثقافة .

(٩ / ١١ / ١٩٨٩)

زوبعة فى فنجان العرب

ما هذا الذى يحدث فوق أرض العرب ؟ مرة نسمع من بعض العائدين من العمل فى البلاد العربية الشقيقة عَمَّا يُلاَقونَه أحياناً من سوءٍ فى المعاملة ، ورداءة فى المشاعر ، ومرةً يباغتنا عنفٌ غير متوقع ، كما جرى فى الجزائر ومصر فى أثناء المباراة الكروية ، وأخيرًا رُوِّعْناَ بجثث المصريين تُحَمَّلُ إلينا من العراق بالعشرات والمئات .

ويتأملُ المُتَأَمِّلُ ، يتذكرُ الأَمَلَ المتجدد فى التعاون والتكامل والإخوَّة ، فتأخذة رعدة : هل نحلم أحلام يقظة لاترتكز على أساس من الواقع؟ !

هل نبنى قصورًا من الرمال على شَفا جُرفٍ هَارٍ ؟

الحق فى نظرى أنه لا يجوز أن نتهاون ، كما لا يحق لنا أنْ نُغَالى . . لا يجوز أن نتهاون فى الأخطاء ، سواء صدرت عن إهمال فى الداخل أو تجاوزاتٍ فى الخارج ، حِفَاظًا على الكرامة ، ومحافظة على أرواح أبنائنا ، بل ودفاعاً عن المصالح العربية العليا .

ولا يحق لنا أن نغالى فنجاوز القصد ، أو نهز أركان سياستنا العامة ، أو نحيد عن أهدافنا الثابتة .

ومن الخير والعقل أن نقيم علاقاتنا مع إخواننا على أرض الواقع ،

بعيدًا عن المثاليات الشاعرية ، أرض الواقع بما يحمل من متناقضات ونقائص وسلبيات لا تخلو منها طبيعة بشرية . عندما تقضى المصالح العليا وإِرادة الحياة الواعية بالتوجُّه نحو التكامل والتعاون والإخوَّة ، فعلينا جميعاً ـ كعرب ـ أن نتوجه نحو تلك الحياة المنشودة بدون أن نتوقع أن يُغَيِّرَ ذلك من الطبيعة البشرية ، فنمحو بضربة واحدة من النفوس ما جُبِلَتْ عليه من أنانية ، وسوء ظن ، ومنافسة ، وجميع ما ينتج عن العمل فى ميدان واحد .

وما حدث للمصريين فى الخارج يحدث مثله أحياناً فى مصر فيما بين الأفراد والطبقات والانتماءات من غير أن يطعن ذلك وَحْدَةَ الأمة ومصيرها العام ، بل هو ما قد يحدث بين أبناء الأسرة الواحدة من إخوة وأخوات .

إنَّ ما حدث من انحراف يجب أن نتعاون جميعًا لنقومه ، ولكن يجب أن يتم ذلك فى نطاق التكامل والتعاون والإخوة .

(٧ / ١٢ / ١٩٨٩)

آمالنا فى العام الجديد

ها نحن نودع عامًا ونستقبل عامًا ، وفوق الخط الفاصل بين العامين تحلو المراجعة والذكر للتأمل والاعتبار . ولسنا للأسف ممن يسجلون الأحداث حالَ وقوعها ، فيعتمدون على الإحصاء والتقصى ، ولكن يبقى لهم الانطباع العفوى بما يحمل من دلالة . وما من شك فى أن العام المنطوى كان عاماً كريماً ومثيرًا .

فعلى المستوى العالمى شَهِدَ التقارب والتفاهم بين القِمَم ، فَبَشَّرَ بالسلام بدرجة غير مسبوقة من قبل ، كما شهد ثورة عارمة فى سبيل الحرية فَجَّرتْهَا شعوب الكُتلة التى كرست الحكم الشمولى وقدسته ، بل إنها انبثقت بصورة مذهلة بيد القيادة الحاكمة فى رأس الكتلة ومركز قيادتها ، مؤكدة فى النهاية أنه لا عدالة بلا حرية وكرامة ، فضلاً عن توجهها نحو البناء من جديد على أسس عصرية حديثة لا يمكن تجاهلها . كذلك شهد العالم انتصارات لحقوق الإنسان تمثلت فى استمرارية الانتفاضة ، وفى استقلال ناميبيا ، وفى تولى الزنوج لمراكز قيادية هامة فى الولايات المتحدة . وثمة تقدم فى غزو الفضاء ، واحتشاد علمى لحماية البيئة ، وتغير النظرة نحو الديون ، ووجوب إيجاد حل عادل لها لصالح الأغنياء والفقراء معاً .

وعلى المستوى المحلى يبرز التوجه العربى نحو التعاون والتكامل ، ونجاح السياسة المصرية الخارجية فى المجالات العربية والإفريقية والعالمية ، والسياسة الحكيمة التى استقر عليها الرأى العربى لحل القضية الفلسطينية ، بالإضافة إلى اهتمامنا الخاص بثورة التعليم والثقافة والزراعة ، وإعادة النظر فى حياتنا الاقتصادية .

أجل ، مازال رصيدنا من السلبيات وفيرًا ، فما حدث فى لبنان هو رِدَّةٌ إلى عصور الظلام ، كذلك الانقلاب العسكرى فى السودان الذى يسبح ضد موجة الحرية العالمية .

وأملنا فى العام الجديد أن يتم إيجابيات العام الماضى بالتأكيد على السلام وحقوق الإنسان ، والاعتراف بحق الفلسطينيين ، والتقدم فى البحث العلمى ، والدفاع عن البيئة . كما نرجو أن يشهد فى وطننا نصرًا كاملاً للديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، وسيادة القانون إلى ما نأمل من إنجازات صادقة فى المجال الاقتصادى ، والتصدى للمشكلات . فاللهم اجعله عامًا سعيدًا وفتحاً مبيناً .

(٤ /١ /١٩٩٠)

أمثلة يضربها العصر

شهد شهر نوفمبر من العام الماضى حدثاً مُهِماً في تاريخ الولايات المتحدة ، أو قُلْ في تاريخ البشرية . شهد السود يتزعمون عُمُدِيَّةَ نيويورك وثلاثَ مُدُنٍ أخرى ، ويفوزون بحُكمِ ولاية فرجينيا . وقد فاز حاكم الولاية بعد تفوقه على مُنافِسِه الأبيض المُدَّعِي العام السابق للولاية التى كانت تُعَدُّ أحَدَ معاقل العنصرية في الماضى ، والمؤيدة للعبودية والرق في القرن الماضى ، وإبَّان فترة الحرب الأهلية . كما حَظِى عُمدة نيويورك بتأييد ثلث أصوات البيض ، بالإضافة إلى أصوات السود في أكبر المدن الأمريكية .

إنه نصر للسود ، نصر للولايات المتحدة ، نصر للبشرية ، نصر للحضارة نجد فيه بعض العزاء ، والكثير من التشجيع فى موقفنا إزاء ما يحدث فى جنوب إفريقيا وما يحدث فى لبنان بين الطوائف والعائلات ، وما يقع ليل نهار فى الأراضى المحتلة ، بين التعصب من ناحية ، وإرادة التحرر من ناحية أخرى ، بل إنه يعزينا ويشجعنا حيال ما يقع للأحرار فى كل مكان ، وما يُمارس فى السجون والمعتقلات من جرائم تردنا إلى العصور الهمجية الدامية من تاريخ البشرية .

لقد شهد هذا القرن مبادىء ولسون ، وثورات المستعمرات ،

واستقلال الشعوب ، وثورة العدالة الاجتماعية الكبرى ، وإعلان حقوق الإنسان . وعلى كل حامل أمانة بشرية فى العالم أن يعى عصره ، ويرنو إلى هدفِ مسيرته ليتوافق معه ولا يسبح ضد تياره فى عناد وغباء . ونحن لا نتجاهل الأزمات الخانقة التى تقبض على أرواحنا ، ولا نستسلم للأحلام الوردية ، ولكن علينا أن نستمد من روح عصرنا الاتجاه والقوة ، والأمل والعزم والتصميم ، وأن ننتظر إلى الغد مستشهدين بكل نصر طيب . إنها المَعْرَكَةُ لا تتوقف ، والعُقْبَى فيها للصامدين الصابرين .

(١٩٩٠/١/٢٥)

الأمة العربية تواجه الزمن

تلقى العالم العربى فى تاريخه الطويل تحديات شرسة ، من أوبئة ، ومجاعات ، وغزوات همجية ، واستعمار شامل لأراضيه ، واكتشافات جغرافية اقتلعت جذور اقتصاده ، وبرغم الخسائر الفادحة فى الأرواح والحضارة فقد صمد للتحديات ، واستمسك بوجوده ، وها هو ذا اليوم يمارس صحوة جديدة ، ويتقدم بين شقى العناء والأمل . وهاهى ذى التغيرات العالمية على المستويين الطبيعى والسياسى تُشَكِّلُ فى طريقه تحديات جديدة ، عليه أن يفكر ويتدبر ليكتشف موقعه منها ، وأفضل السُّبُل للتعامل معها . أجل إنه لم يحل مشاكله الداخلية كما ينبغى له ، ولم يحسم بعض الخلافات بين بلدانه ، ولكن ثمة علامات لا تخطئها عين ، تدل على توجهه نحو الاتزان والواقعية فى متابعة ما يدور حوله ، وتَوَثُّبه نحو الإصلاح السياسى والاجتماعى ، وعزمه على القيام بدوره اللائق ضمن الأسرة البشرية .

العرب اليوم يتلاقون من خلال تكتلات تعاونية ، ويصدرون قرارات سيكون لها شأن فى التعمير والبناء والتقدم الحضارى . لم يعد الأمر يقتصر على الخُطَب وإطلاق الشعارات ، ولكنَّ علماءهم يدرسون ويخططون ، ومُدِيريهم يُقبلون على التنفيذ بكل هِمَّة . إنها بشائر الوحدة

الاقتصادية والثقافية والأمنية ، ولا حياة حقيقية لهذه الأمة العريقة إلاَّ بالوحدة الاقتصادية الثقافية الأمنية .

اليوم تُرْصَدُ أموالٌ للاستثمار فى بلاد العرب من خلال نظرة شاملة ، ومن منطلق قومى ، مستهدفة الدفاع عن النفس فى المجال الحضارى الإنسانى ، وترسيخ أسس نهضة شاملة تقوم على الإيمان والعلم . وقد امتدت الآمال إلى الأمة الإسلامية ، فترددت فى اجتماعاتها أصوات حكيمة داعية إلى التعاون والتكامل الاقتصادى ، مما يبشر بخير أكبر ، وتقدم أعظم . واجبنا الأَسْمَى أن نستمر . . أن نستمر بدون تردد أو وهن ، وأن نُضاعف البذل والعمل ، وأن نجود بما نملك يدًا ولساناً وقلباً ، وأن نوفر للأجيال الإيمان المضىء ، والعِلْم الخَلّاق ، والثقافة الأصيلة ، والحضارة الزاهرة . علينا أن نقدم الوفاء للماضى بأن نجعل المستقبل أفضل منه ، برغم ما أُثِرَ عن الماضى من مجدٍ وذِكْرٍ جميل .

(١٢ / ٤ / ١٩٩٠)

قمــة الآمال

لا يخلو وطن عربى من أزمة داخلية ، سياسية أو اقتصادية . وكما أن الحل يوجد فى الداخل فإن كَمَاله لا يتهيأ إلاَّ بالاستعانة بالخارج ، ذلك أننا نعيش زمنًا اختلط فيه الداخل بالخارج ، خاصة بين أوطان تشابكت جذورها وفروعها منذ قديمٍ ، شأن الوطن الواحد كالأوطان العربية . وفى هذه اللحظة التاريخية التى تموج بالاضطراب والنُّذُر تَتَبدَّى القمة العربية كشعاعٍ للأمل ، ومنارة للمستقبل .

نرجو ـ أول ما نرجو ـ أن تنقى القمة الصدور عن الانفعالات ، وأن تُشعل مصباح العقل ، فهو خير مرشد فى العواصف الهوجاء .

نرجو أن تُوَفَّقَ إلى تصفية المتبقى من الخلافات بين بعض الأشقاء ، حتى تنجلى الدول جميعًا عن أُمَّةٍ واحدة تَوَجُّهًا وفكرًا وسياسة .

نرجو أن تؤكد رغبتها فى السلام العادل الشامل ، سلام يشتمل قضايا فلسطين ، والجولان ، والنزاع العراقى الإيرانى ، وأن تعرض فى ذلك اقتراحاتها ، والسبيل السوى لتحقيقها .

نرجو أن تتبنى اقتراح تطهير الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها ، تأييدًا لدعوة السلام، وتجنيباً للمنطقة مِمَّا

يهددها من خراب لايعلم مداه إلا الله ، وأن تطالب العالم بتحمل مسئوليته فى هذا الشأن بالقوة والوضوح الكافيين .

نرجو أن تعلن أيضًا أن لابديل لتطهير الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل ، إلا السباق الطبيعى لإحرازها دفاعاً عن النفس ، لأننا بقدر ما نتطلع إلى سلام شامل فإننا نأبى أن نعيش تحت رحمة الآخرين .

نرجو أن تؤمن القمة ـ وهو مالا شك فيه ـ بأن تماسكنا فى هذه الفترة من الزمن هو ضرورة حياة وبقاء ، وأنَّ الزمن لا يسمح بِغَضِّ الطرف عن العواقب المتربصة بنا ، وأنَّ أى تهاون فى ذلك ينذر بخاتمة تجل عن الوصف والعزاء .

نسأل الله الهداية ونسأله التوفيق .

(١٩٩٠/٥/٢٤)

الجريمة والرسالة

فى اعتقادى أنه لا يوجد تردد عن إدانة غزو الكويت لدى فرد من شعوب الأمة العربية ، حتى شعب العراق لا أستثنيه من ذلك الإجماع ، فالغزو جريمة جاهلية تقطع بأن التربية الإسلامية على مدى ما يقرب من خمسة عشر قرنًا لم تكْفِ لتطهير بعض النفوس من أدران العنجهية القَبَلية، بالإضافة إلى تناقضها الصارخ مع روح العصر وتوجهه .

ولكن هناك نغمة غريبة بدأت تعزف ـ نتيجة لذلك ـ على أوتار اليأس. . اليأس من العروبة والوحدة والتعاون ، واعتبارها أَضْغَاث أحلام، وسحابات أوهام ، وأشباح ليل بهيم . هذه خطيئة أخرى لاتقل فى ضلالها وسوء عاقبتها عن جريمة الغزو نفسها .

انظروا إلى الوحدة الأوروبية وكيف تتم فى صبر وأناة ، وخطوة بعد خطوة ، بعد قرون من التمزق والأحقاد والحروب ، وملايين الضحايا من الأنفس ، وجبال من أطلال المدن والقرى !

الوحدة العربية.رسالة مستوحاة من الواقع ، تحتمها المطالب ، ويقتضيها الوجود ، ويكرسها تحقيق الذات فى العالم الحديث ، وما يشترطه من تضامن فى الفكر والعقول والأموال لتحقيق أهداف اليوم والغد .

لقد ارتُكبت جريمة نكراء برغم إرادتنا ، وقد تُرتَكَبُ جريمة أخرى ، ولكننا لن نتخلى عن هدفنا الأسمى ، ولن نتهاون فى تحقيقه بكل وسيلة ومن أى سبيل ، وإنِ اقتصرت البداية على نواة مؤمنة ، لا كحِلْفٍ ضد أحد ، ولكن كدعوةٍ مفتوحة ودائمة لكل من يلبى النداء عن صدق وإيمان .

قد يكون الطريق طويلاً ، شائكاً ، كثير العثرات ، وقد تُكَدِّرُ جَوَّهُ بين الحين والحين نعراتٌ جاهلية ، أو نوازع جنونية ، ولكن علينا أن نتصدى لأى انحراف بالتضامن والعقل والحكمة والحزم . علينا أن نصحح الأخطاء ، ونضمد الجراح ، ونؤيد الحق والعدل ، ولكن لا سبيل إلى التراجع أو اليأس أو الهزيمة .

(١٦ / ٨ / ١٩٩٠)

أمانى عربية

فى هذا الكابوس الخانق ، وبين أطلال الخسائر المادية الباهظة التى لم يسلم منها وطن عربى ، وعلى مرمى من المصائب التى نزلت بالآمنين من المصريين والأجانب ، فى ذلك الظلام لايكف العقل عن التفكير، ولا القلب عن الحسرة ، ولكن الخيال يلتقط لحظات من الراحة يهيم فيها فى وادى الأمانى ، تُرَى ما هى الأمانى التى يحوم حولها الخيال ؟

١ ـ أن ينتصر الرئيس العراقى على جبروته الاستبدادى ويرجع ظافرًا إلى الحق ، وهو رجوع أشرف من تراجُعِهِ أمام إيران ، وفيه إنقاذ لأُمَّته العربية ، وتاريخه الوطنى .

٢ ـ أن تعود الكويت إلى وجودها الشرعى ، وتسترد سيادتها وحقوقها وما نُهِبَ من أموالها ، فتضمد جراحها وتستأنف مسيرتها الكريمة .

٣ ـ أن يخرج العراق من الأزمة سليماً بغير سوء ، آمنًا على سُكانه وهياكله ومؤسساته ، فهو قوة عربية ، وعزة قومية ، ونحن نحرص على سلامته حرصنا على سلامتنا .

٤ ـ أن تسلم القضية الفلسطينية من الأذى ، وأن ترجع إلى احتلال بؤرة الاهتمام والرعاية فى قلوب الأمة العربية ، بوصفها قضية العرب الأولى .

حقًّا إنها أمَانِيُّ كالحلم ، ولكن بتحقيقها يطمئن العالم على مصالحه ، ويلتفت العرب إلى تعويض خسائرهم ، ويتجنبون مصيرًا لا يعلم مدى شدته إلاَّ الله .

إنه حُلم غير مستحيل إذا استمع حاكم العراق إلى صوت العقل ، وتذَكَّرَ الدروس القريبة والبعيدة ، وفكر كما ينبغى للرجال المسئولين حقًّا عن أوطانهم ، والمتطلعين إلى منزلة فى التاريخ تُذْكَرُ لهم فى صفحاته البيضاء .

(٢٣ / ٨ / ١٩٩٠)

الطريق العربى

ارتفع الرئيس حسنى مبارك فى غمار الأزمة العربية الراهنة إلى ذروة من الحكمة الحضارية ، خليقة حقًا بالحاكم المصرى الأصيل ، المؤيد من الله بالعقل الحكيم فى الجسم السليم ، كان خير مُعَبِّرٍ عن صوت مصر ، وحضارة مصر ، وعراقة مصر ، منذ أشرقَ فجر الضمير بأرضها المباركة ، وبَيَّنَ الخَيْرَ من الشر ، وتَحَدَّدَ الجزاء العادل فى الدنيا والآخِرة .

وقد أسعدنا إصراره على السعى إلى السلام ، وتجنيب الأمة العربية ويلات الحرب ، ونحن ندعو له بالتوفيق ، كما ندعو لكل مَنْ يُؤازره فى دعوته من العرب والأجانب ، ولكننا لن تسعد بالسلام إذا جاء ـ لا سمح الله ـ على حساب القيم ، لذلك يجب أن يكون هدفنا الأول هو إزالة آثار العدوان ، وعودة الكويت إلى وجودها الشرعى ودورها العربى ، ورجوع العراق إلى الحق والشرعية وسيادة القانون ، واحترام حقوق الإنسان فى ظل الجامعة العربية وهيئة الأمم .

ولعله من الصواب أن نعترف بأن الأزمة لم تكن شَرًّا خالصاً ، فقد كشفت عن حقائق عن أشقائنا العرب كان لابد أن تُعْرَفَ لتستقيم العلاقات بينهم فى وضوح وجلاء . . كشفت عن فلسفاتهم فى الحياة ، فإنهم وإن اتفقوا فى الغايات البعيدة من التحرر والنهضة فإنهم يختلفون

فى المنهج ، منهم من يحرص على نقاء الوسيلة والغاية ، ومنهم من يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة :

فعلينا أن نتكتل مع الفريق الأول لنقيم معه الأساس الأخلاقى للعروبة ، وأن نحاول بمختلف الوسائل المشروعة تطهير الفريق الآخر من رواسب قرون مضت وانقضت إلى غيررجعة بإذن الله .

ولنتساءل بلهفة : متى نخرج من ظُلمات الأزمة ؟ متى نواصل السير؟ متى نتفرغ لهدفنا الحقيقى ، وهو القيام بدور جدير بنا فى هذا العصر؟

(٣٠ / ٨ / ١٩٩٠)

حـرب الرهائـن

قرر الرئيس صدام حسين أن يحول الأجانب العاملين فى العراق والكويت إلى رهائن يحتمى بها من الضربات التى يتوقعها ، من العبث أن نقول إنه إجراء خارج على جميع القوانين الدولية والشرائع الإنسانية ، فما جدوى الكلام عن القانون والشرعية لدى رجل يتصرف فى سياسته وكأنه فى دنيا بلا قانون ولا شرائع ؟!

وليكن كيف يكون التعامل مع ذلك الموقف الشاذ ؟!

لقد ذهبت القوات الأمريكية والعربية إلى السعودية للدفاع لا للهجوم، فلن تنشب حرب إلاَّ إذا غامر الرئيس العراقى بهجوم ، وعند ذلك فلا خيار لأحد ، وإذا لم يمكن إنقاذ الرهائن فسيحل بالعراق انتقام رهيب ، سَيَنْصَبُّ أولَ ما ينصب على الأبرياء للأسف الشديد .

وإذا لم تقم حرب فالمقاطعة الاقتصادية كافية ، حتى وإنْ طالَ أمدها، علمًا بأن مجلس الأمن لم يقرر حتى كتابة هذه الأسطر الحصار ، وفضلاً عن أن المقاطعة يمكن أَلاَّ تشمل الغذاء والدواء لأسباب إنسانية، وفى فترة المقاطعة قد تُحَلُّ المشكلة داخليًّا استجابة لضغط الشعب العراقى الذى لا أتصور أنه راضٍ عن سياسة حاكمه ، كما أن القوات المُدَافِعَة ستجد المزيد من الوقت لاستكمال عَدَدِهَا وعُدَّتِهَا .

إن الرئيس العراقى يفعل ما يفعل المجرمون فى السينما من تعريض ضحاياهم لرصاص الشرطة طمعًا فى الهروب بأمان . غير أن الشرطة عادة تصنع المستحيل كى تحقق أهدافها دون التضحية بالأبرياء .

(١٩٩٠/٩/٦)

الحـــرب

قرار مجلس الأمن بفرض الحصار حول العراق فيه الكفاية لتحقيق ما نريد وما يريده العالم معنا ، وهو انسحاب الجيش العراقى من الكويت، واسترداد الكويت لوجودها الشرعى . قد تجىء النتائج بالسرعة التى نتمناها ، ولكنها ستجىء حتماً فى وقتها ، فما علينا إلاَّ أنْ نستوصى بالصبر ونُحْكِمَ الحصار ، ووقت الانتظار لا يضيع عبثًا ، فهو فرصة مُتاحَة للساعين إلى حل المشكلة بالمبادرات والمفاوضات . . المهم عندنا أن يرجع الحق إلى أصحابه ، وأن تنتصر المبادىء ، وأن يعى الدرس كل من يفكر فى العدوان ، ويعلم فى الوقت نفسه أنه يعيش فى عالم جديد ، وأن عليه أن يعمل فى ظل مبادئه .

أما الحرب فهى شر ، وهى شر يلد شرورًا ، ولن ينجو من عواقبها المباشرة وغير المباشرة وطن عربى أو غير عربى ، وستكون وطأتها أشد على العالم الثالث فتضاعف من معاناته .

يجب ألاَّ نفكر فى الحرب إلاَّ إذا فُرِضَتْ علينا فرضًا ، وهى لن تُفْرَضَ علينا إلاَّ إذا غامر الرئيس العراقى بحرب جديدة . وجميع القوات التى تتجمع فى منطقة الخليج تتجمع لتنفيذ قرار مجلس الأمن أو للدفاع . والمُتَابِعُ لما جرى فى مجلس الأمن لاحَظَ كيف ترددت بعض الدول طويلاً

قبل أن توافق على مزيد من التشدد فى قرار العقوبات ، مِمَّا يقطع بالتالى بأنها لا ترغب فى الحرب ولا تحبذها ، والسعىُّ إلى الحرب بدون ضرورة لا يقل فى لا إنسانيته عن الغزو الإجرامى نفسه ، أو استغلال الناس كرهائن .

وجملة القول : إننا حريصون كل الحرص على الحق والعدل والشرعية ، ولكننا لانريد الحرب إلا إذا فُرِضَتْ علينا فرضًا .

(١٠ / ٩ / ١٩٩٠)

الحرب و السلام

من هم العرب ؟ .

إنهم عملاء الإمبريالية والصهيونية العالمية . لا أقول أنا ذلك ، ولم أَقُلْهُ قط ، ولكن تردده ألسنة العرب أو أقلامهم لدى الخِلاف والشقاق . وقد يحدثونك عن مؤامرات يقع قادتهم فى شباكها كأنما هم صيد سهل لكل صائد ماكر .

إنه حُكم جائر زائف ، ولا يؤيده دليل أو يقين أو وثيقة . ينطلق وينتشر بقوة الانفعال الجامح والعاطفة الهوجاء ، وفى غيبة كاملة من العقل . الحق أَنَّ العرب جميعًا يتبنون أهدافًا واحدة . إنهم يحلمون بالوحدة دون دخول فى تفاصيلها ، ويحلمون بصحوة شاملة يدخلون بها العصر الذى نعايشه باعتبارنا قوة قادرة على الاستيعاب والعطاء . وهم يتمنون أن تسندهم فى كفاحهم أموال النفط ، لا على سبيل المعونات ، ولكن عن طريق الاستثمار الذى يعود بالخير على الجميع .

وإذن فمن أين يجىء الخلاف ؟

يجىء الخلاف عند اختيار الوسيلة المؤهلة لتحقيق هذا الحلم . منهم من يؤمن بالعنف والإرهاب والحرب ، ومنهم من يلتزم بالقانون والشرعية

والحوار العقلانى ، ويرغب فى تحقيق أحلامه تحت مظلة المواثيق العربية والقوانين الدولية .

والحق أننا لا نلقى على أيدى المؤمنين بالعنف سوى المآسى والهزائم ، أما أهل الحوار والعقل فقد حرروا سيناء ، ومهدوا السبيل لحوار شامل تُحَلُّ فيه القضايا المعلقة . اليوم يقف الفريقان وجهًا لوجه ، يسعى أحدهما إلى حل عربى سلمى ، ويصرُّ الآخر على الرفض مزهوًّا بقوته وحماسه .

والحق أن الحرب تطرح عواقب وخيمة ، وهيهات أن ينجو منها أحد .

(١٣ / ٩ / ١٩٩٠)

الدروس القاسية

فى حياتنا تجارب قاسية ، تصلح دروسًا لمن يرد أن يتعلم ، فمتى نتعلم ؟ دار آمنة يقتحمها قرار من داخلها . يقذف به أحد أبنائها فى ساعة تَجَلٍّ أو ساعة نحس ، لم تناقشه أو تدلى فيه برأى ، وإذا به يجرها إلى حافة الهاوية : وقد يهدم فى ساعة ما شيدته فى سنين بالجهد والعَرق والأمل . والبلوى تكمن عادة فى زعيم مُسْتَبِدٍّ يفرض ذاته بالقوة ، ويُهيمن على أجهزة الإعلام حتى يترآءى لنفسه وقومه كأنه فوق البشر ، ينطق عن الوحى ، ويتصرف بالإلهام ، ولا يثوب إلى رشده إلاَّ وهو فى قاع الهاوية .

متى تبرأ الأوطان العربية من ذلك الداء القاتل ؟ متى تعد بيتها للحياة فى هذا العصر ؟ متى تؤمن بالحرية واحترام حقوق الإنسان ؟

والعرب كثيرًا ما يبدون وحدة متماسكة تباركها الأحضان والقُبلات ، على حين أن قلوبهم شتى ، وأحلامهم متنافرة ، بل منهم من يود الفتك بأخيه قبل خصمه ، من أجل ذلك يجب أن تطرح خلافاتهم فى ضوء النهار ، ما تعلق منها بالحدود وما تعلق بالتاريخ . عليهم أن يعملوا على تسويتها بصفة نهائية مهما كلفهم ذلك من جهد وتضحية كى يصفُّوا جَوَّهُم مِنْ كدر الكراهية والحقد ، وكى لا نفاجىء العالم بالإزعاج

والضرر كل بضع سنين ، فَلْنُقَلِّلْ من الأحضان والقُبَل ، ولنوثق علاقات الترابط والتضامن .

ولا شك أن الأزمة الراهنه كشفت حقائق مهمة ، وعَرَّفَتْ كل وطن عربى بمن يتوافق معه بدون قيد أو شرط ، وبمن يميل إليه بتحفظ وبمن يختلف معه اختلافًا لا يُرجى معالجته فى الزمن القصير ، وعليه فيجب أن ننشىء مجلسًا تعاونيًا من الأوطان التى يجمعنا بها الهدف والوسيلة تحت مظلة ميثاق الجامعة العربية ، وميثاق هيئة الأمم ، لنبدأ تلك الخطوة بدون تردد ، لا كحلف ضد أحد ، ولكن كأساس تقوم عليه تنميتنا الشاملة ، واقتصادنا المتكامل ، وسوقنا المشتركة ، ووحدتنا الثقافية . سوف يكون نظامًا يدعو إلى الانضمام إليه لا بالقوة ولا بالدعاية ولكن بالعمل الصالح ، والإنجاز المفيد ، ومبادىء الحرية والإنسانية .

(٢٧ / ٩ / ١٩٩٠)

مـن الجانـى ؟

يقولون ـ اعتمادًا على شواهد وأدلة ـ إن الولايات المتحدة علمت بالاستعداد لغزو الكويت قبل وقوعه بمدة كانت كافية للتحذير والتنبيه والحيلولة دون وقوعه ، وإنها تركت الأمور تجرى فى مجراها حتى وقع الغزو، فوجدت فرصة نادرة لتنفيذ سياسة جديدة هى جزء مهم فى تصورها للعالم الجديد الذى يتشكل بعد الوفاق ، وهى نقل خطوط دفاعية إلى منطقة الشرق الأوسط .

قَدَّمَ الغزو لها خدمة كبرى ، فقد هدد مخزنًا مهمًّا للطاقة ، وخرق مبدءًا أمنيًّا أصبح العالم يحرص عليه بدقة بعد توجهاته الجديدة ، واتفق العرب أنفسهم مع العالم فى ذلك ، فهبُّوا يُطالبون بانسحاب العراق ، وراحت الدولُ المُهَدَّدَةُ فى أمنها تطلب العون من جميع الأصدقاء ، هكذا انطبقت المبادىء على المصالح ، والمصالح على المبادىء ، ووجد الغرب الفرصة لتنفيذ سياسته بدون متاعب ، بل فى اتفاق تام مع أهل المنطقة ، وبدعوة من بعضهم ، فى ظل قرار عالمى استهدف الدفاع عن القانون والأمن والشرعية .

وبادر أُناس إلى الاتهام ، وقالوا : إن العالم لن يتغير ، ومازال وجهه القبيح على قبحه ، غاية مافى الأمر أن العدو يجىء هذه المرة فى ثياب صديق ! .

مهلاً لا تلوموا دولة إذا خططت لمستقبلها بما يتفق مع تصورها لعالم جديد وغَدٍ جديد ، ولكن اللوم يقع على مَنْ يسىء الفهم والتقدير ، ولا يعرف لِقَدَمِهِ قبل الخَطْوِ موضعها ، فيقدم على فعلٍ أخرق يجرُّ به نفسه وقومه إلى مأزق وعر . اللوم على المخطىء ، ولا أقول العميل أو المتآمر ، فإنى أُنَزِّه أى زعيم عن ذلك ، ولكنه الاستبداد وقصر النظر والغرور الذى يخلق من أعاجيب الأفعال مالا يتصور حدوثه إلاَّ مع الخيانة والتآمر .

الحُكم الصالح يحتاج إلى ثقافة سياسية شاملة ، ومعلومات وفيرة وحكمة رشيدة ، وحذر محيط ، وقد يتوافر ذلك فى جو الديمقراطية والانفتاح على جميع الآراء، أما حكم الفرد ، وبخاصة الفرد المُلْهَم ، فيصبّ دائمًا فى مستنقع الكوارث . . وقد نجد أنفسنا غدًا فى موقف دقيق يقتضينا جميع ما نملك من حكمة ومقدرة .

(٢٥ / ١٠ / ١٩٩٠)

الخط بين السلام والحرب

إننا من دعاة الحل السلمى لأزمة الخليج ، لاكراهية فى الحرب وآثارها المدمرة فحسب ، ولا حفاظًا على شعب العراق ودوره العربى فقط ، ولكن أيضًا تحسبًا لما سيعقب حل الأزمة من حوار بيننا وبين الأمم التى تصدت لإعادة الشرعية ، فلئن نجلس للحوار بعد حل سلمى خَيْرٌ من أن نُحاور قومًا قد فقدوا عشرات الألوف من القتلى والجرحى دفاعًا عن شرعية المنطقة . فهناك بالإضافة إلى ذلك مصالح تقوم عليها حضارة ، وهناك التفكير فى نظام أمنى يمنع العواصف الدورية التى تهب من المنطقة كل بضع سنين .

وإذا كنا من دُعاة الحل السلمى فإننا فى الوقت نفسه دُعاة الشرعية والقانون والمبادىء ، فلا نقبل بحال أى تهاون مع العدوان ، أو مساس بحق الكويت فى الوجود وحق حكومتها فى العودة ، والحق العادل فى التعويضات عن الخسائر الباغية التى حاقت بالوطن الكويتى .

نريد السلام تحت شرط أن يجىء سلامًا طاهرًا من الشوائب ، مُبَرَّأً من العيوب ، سلامًا تعتز به الكرامة لا أن تُخْزَى به ، سلامًا يفرح به الأبرياء ولا يتيه به المجرمون . ولن تضيرنا المبادرات التى تمهد الطريق وتيسره ، كأن تتيح للرئيس العراقى فرصة لحفظ ماء الوجه ، بل لن يضيرنا أن ينال

تعهدًا بتأمين وطنه إذا نَفَّذَ القرار فى الحال وبلا تردد . المهم عندنا أن يسترد الشعب الكويتى جميع حقوقه المسلوبة .

وإذا خابت الحيل وفشلت المساعى وأثبت الحصار عقمه وعدم جداوه فنحن نفضل الحرب ـ على بشاعتها ـ على الهزيمة ، هزيمة الحق والعدل والقانون والشرعية والمبادىء .

إن الإنسان قادر على إصلاح الدمار ، ولكنه لا يستطيع أن يعايش حياة خالية من القانون والمبادىء .

(٢ / ١١ / ١٩٩٠)

خطوة منشودة للسلام

قرار مجلس الأمن فيما يتعلق بغزو الكويت واضح وحاسم ، وهو يقضى بانسحاب الجيش العراقى وعودة الكويت إلى وجودها الشرعى ، وعودة حكومتها الشرعية إليها ، وتنفيذًا لذلك اتخذت قرارات بالمقاطعة ، وتصاعدت فى حدتها حتى انتهت بضرب حصار شامل حول العراق .

والقرارات بتلك الصورة وتلك الوسيلة قرارات عالمية ، تعبر عن موقف مجلس الأمن ورغبة أمم العالم جميعًا .

أما القتال فالقرارات لا تتضمنه ، وجميع الدول والشعوب ترفضه ولا تغيب عنها عواقبه الوخيمة ، فنستطيع القول تبعًا لذلك : إنَّ نشوب القتال ـ إذا لم تبدأه العراق نفسها ـ فسيكون تحديًّا للضمير العالمى ، مثل التراجع عن القرارات السابقة . فليس أمام القوات المحتشدة فى الخليج إلا الانتظار ، وسوف تجىء الساعة المنشودة عاجلاً أو آجلا .

ولكن يخاف البعض ـ ولهم الحق ـ أن يؤدى احتشاد الجيوش بالصورة التى هى عليها إلى اندلاع شرارة القتال بسبب أو آخر ، حتى بدون تخطيط أو تدابير ، فلماذا لا يخطو مجلس الأمن خطوة جديدة ، يفتح بها بابًا جديدًا للأمل دون المساس بقراراته السابقة ؟

أعتقد أنه يفعل الكثير إذا أصدر قرارًا جديدًا يتعهد فيه ـ فور تنفيذ قراره الأول ـ بطرح جميع مشكلات المنطقة للمفاوضة ، ومتابعتها حتى الحسم ، وهى تشمل :

١ ـــ المشكلة العربية الإسرائيلية .

٢ ـ المشكلات العربية العربية .

٣ ـ إقامة نظام أمنى للمنطقة يتضمن فيما يتضمن تطهيرها من أسلحة الدمار الشامل .

لعل ذلك يقربنا من الحل ، ويستأصل الأسباب التى تدفع المنطقة إلى أن تكون مصدر إزعاج دورى لنفسها وللعالم كل بضع سنين .

(٥ / ١١ / ١٩٩٠)

صراع الخير والشر

فى لحظات التاريخ المتوترة تتوثب الإرادات البشرية فى عنفوانها ، وتتعاقب الحوادث المذهلة ، وتتقرر المصائر بين الخير والشر .

يتم غزو الكويت ونهبها وتشريد أهلها .

يتكتل العالم ضد العدوان ويطالب بالعودة للقانون والشرعية .

وتنبهر قلة من العرب بالقوة فتساند العدوان ، وتقف أغلبيتهم مع الحق والعدل والقانون .

تتعرض أوطان كثيرة لخسائر فادحة لدفاعها عن المبادىء الشرعية .

ويقدر موقفنا حق قدره ، فنتحرر من قروض باهظة ما كنا نتحرر منها إلا بالعناء الطويل فى الزمن المديد .

وتستوعب دول النفط الدرس فتهتدى - وبصورة حاسمة - إلى طريق السلامة ، والتوجه الاقتصادى الرشيد ، والأمن القومى العربى الحقيقى القائم على الحق والإخلاص .

ويتردد الحديث هنا وفى العالم عن المشكلات التى تهدد المنطقة بالانفجار كل بضع سنين ، وتنعقد العزائم على حلها بما يحقق السلام

الشامل ، والعدل الشامل ، سواء ما تعلق منها بما بين العرب وإسرائيل، أو بما بين العرب والعرب أنفسهم .

ويتردد الحديث أيضًا عن تطهير المنطقة من أسلحة الدمار الشامل تحقيقًا للأمن والأمان .

هكذا بدأت الحوادث باندلاع شرارة شريرة ، ما لبثت أن طوقتها الأفكار الرشيدة ، والنيات الطيبة ، فجعلت منها مدخلاً لحياة جديدة تعد على المدى الطويل بالخير والنماء .

ويمكن تلخيصها على المستوى العربى فى سطرين ، وهى أنها جاءت ثمرة :

١ ـ لتهور رئيس مستبد .

٢ ـ حكمة رئيس ديمقراطى .

وقد كنا نشفق من أن نرحل عن الدنيا ووطننا العربى مختنق فى كابوسه ، ولكن شاءت العناية الإلهية أن تمد فى عمرنا حتى نرى الكابوس وهو يتلاشى ، موسعًا ليقظة مشرقة .

(١٩٩٠/١١/٨)

مقارنة بين الحلّين

بمرور الأيام والأسابيع تتضح حقائق فى أزمة الخليج ، وتزداد وضوحًا بالتصريحات التى يدلى بها مسئولون ، ولَعَلِّى لا أتجاوز الواقع إذا لخصتُ الموقف على الوجة الآتى :

١ ـ الكثرة الغالبة ترغب فى الحل السلمى ، أى تنفيذ قرار مجلس الأمن بدون قتال ، وترى فى الحصار المفروض حول العراق الكفاية ، مع الأخذ بشىء من الصبر . إنها تحترم المبادىء وتدين العدوان ، وتحرص فى الوقت نفسه على مصالحها ، ولكنها تستفظع الحرب وويلاتها ، وتريد أن تتجنب عواقبها الوخيمة على اقتصاد العالم وعلاقاته الدولية .

٢ ـ لكن بعض السياسات لا تقنع بالحل السلمى ولو أدى إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ، فهى لا تسمح للعراق بأن يحوز قوة تخل بالتوازن فى المنطقة ، وما يزيد الأمر صعوبة أنها أيضًا لا ترضى عن إبادة قوة العراق إبادة شاملة فتخل بالتوازن من ناحية أخرى ، فكيف يمكن أن تحقق تلك السياسات أغراضها المتضاربة ، بمعنى أن تُنَفِّذَ قرار مجلس الأمن ، وتُحَجِّمَ قوة العراق دون إبادتها ؟

فى اعتقادى أن القتال لن يحل هذه المشكلة ، فإنه إذا اندلع فلن

يتوقف إلا بالقضاء على أحد الطرفين ، والنتيجة المتوقعة فى تلك الحال هى إبادة القوة العراقية ، وانتشار الدمار فى المنطقة .

أما الحل السلمى فلن يَعْدَمَ وسيلة للموازنة بين القوى فى المنطقة عند البحث عن سياسة أمنية فى المنطقة ، وتقدير حجم القوة الرادعة والكافية للدفاع عن الأمن والاستقرار ، وبخاصة إذا اقترن ذلك بحل مشكلات المنطقة التى تهدد بالانفجارات الدورية مثل :

١ ـ المشكلة الفلسطينية .

٢ ـ مشكلة الحدود العربية .

٣ ـ مشكلة حيازة أسلحة الدمار الشامل .

(١٥ / ١١ / ١٩٩٠)

دعوة إلى الجهاد الأكبر

متى يستقر العرب فى عصر العقل ؟ متى يهيمنون على عواطفهم وانفعالاتهم ؟ متى يوظفون العواطف فى حياتهم العامة كقوة كامنة ، على حين يُبَوِّئُونَ العقل مكان القيادة لعربتهم فى هذا الزمن الضارى الذى لا يرحم ؟

تراهم بين اثنتين : إمَّا غَزَلٌ لا يكون إلا بين العاشقين ، أو سِبَابٌ لا يليق إلاَّ بالأعداء المُتَنابِذين .

وما نُطالب أحدًا بالتفريط فى مصالحه ، ولا نصادر رَأْىَ ذِى رَأْيٍ مختلف ، ولكننا بلغنا درجة عالية من الاقتناع بضرورة التآلف والتعاون ، ووحدة الرؤية والهدف ، وتوجهت قلوبنا نحو طريق واحدة تقوم على التكامل الاقتصادى والثقافى والروحى ، وتستهدف بصدق وعزم اقتحام العصر لاستيعاب مكوناته ، والإسهام فى معطياته ، مع طرح قيمنا الروحية الباقية ، والخالد من تراثنا المجيد ، تحقيقًا للذات على نحو جدير بأصالتنا ، وسابقة إنجازاتنا الحضارية والإنسانية .

فى ظل هذا الجو المشبع بالمَوَدَّةِ والأمل والطموح يجب أن نرسم سياسات للتعاون والنضال ، وعند الخلاف علينا أن نلتزم بحدود

وضوابط . إنَّ دواعى الوفاق أهَمُّ وأجَلُّ من أى أعراض للخلاف ، وأسباب التقارب أهمُّ وأجلُّ من تضارب المصالح .

وإذا طرأ خلاف جِدِّىّ فاحتكموا إلى العقل والحوار ، وإذا لم يَكْفِ فاستعينوا بوسيط من الأشقاء ، وإذا لم يُجْدِ فَلْيَكُن الاحتكام إلى الجامعة العربية ، لا نهاية لمساعى الخير إذا توافرت الرغبة فى الخير ، وإذا تذكرنا الآمال التى تجمعنا والأهداف الكبرى التى تلح علينا .

حَذارِ من الغضب الأهوج ، والكبرياء الطائشة ، والانفعال الأعمى ، إنها دعوة إلى الجهاد الأكبر ، جهاد النفس الأَمّارة بالسوء .

(٢٢ / ١١ / ١٩٩٠)

رحلة إلى المستقبل

ثمة أحاديث وأفكار تدور عَـمَّـا سَتَئُولُ إليه الحياة فى المنطقة العربية بعد حل أزمة الخليج ، وطبعًا هذا لا يعنى أن علينا أن ننتظر حتى يهل أوان التغيير فنشرع فى التفكير أو التنفيذ ، كما أنه لا يعنى أن نقنع بموقف المنتظر لما يجرى به القدر أو ترسمه مشيئة الآخرين .

علينا أن نرسم ونخطط لذلك الغد المملوء بالاحتمالات ، علينا أن نعتبر أن المهمة هى مهمتنا أولاً وأخيرًا ، وأن نعمل الحساب لمختلف الملابسات والاحتمالات ومطالب العالم الجديد الذى يتكون ساعة بعد أخرى فى عصر الوفاق بين الغرب والشرق ، وذوبان الأيديولوجيات فى رؤية جديدة واحدة تتوثب لعرض مشرعيتها على العالم أجمع .

فى نطاق ذلك نعتبر رحلة السيد الرئيس حسنى مبارك إلى دول الخليج رحلة إلى المستقبل ، بل إنها بادرة إلى الاتفاق على أمرين هامين :

الأول : نظام أمن عربى للدفاع عن المنطقة ، والإسهام بقوته الذاتية فى توازن القوى العالمية .

الثانى : الاتفاق على بداية طيبة للتكامل الاقتصادى الذى هو أساس كل نهضة حقيقية لتحقيق التقدم والرخاء للشعوب .

وأرجو أن يكون الحوار قد تطرق لخلق رؤية جديدة لأنظمة الحُكم تتوافق مع العصر ، وتتجاوب مع رؤاه .

لم تكن رحلة استكشاف للمستقبل فقط ، ولكنها اقترنت بالعزم على تنفيذ ما يمكن تنفيذه فى الحال ، والحق أن جميع ما اتفق عليه لم يكن وليد اللحظة أو رد فعل للأزمة ، ولكنه يعكس هواتف الضمائر العربية على مدى نصف قرن ، ولعله لم يعطله إلا الجو العربى بما حمل من خلافات وأزمات وأخطاء جعلته دائماً يقدم المهم على الأهم ، ويهدر كثيراً من القوى فيما لا طائل وراءه .

الحق أنه آن لنا أن نعمل ، ولا نؤخر عمل اليوم إلى غد . . وألاَّ نحيد عن الطريق المستقيم الذى لا محيد عنه ولا تردد فيه ولا طريق غيره للحياة الكريمة .

١٩٩٠ / ١١ / ٢٦

حلم ساعة

كلما مر يوم لاحت فى الأفق نُذر الحرب ، ولكن بشائر الحل السلمى لا تتلاشى ، مازالت تهدى إلينا الأمل فى تجنيب المنطقة ويلات الحرب ، آخر ما عرفناه منها مبادرة الرئيس الفرنسى ميتران ، ولعلها ذات مزايا لا يمكن أن يُستهان بها ، فهى مُحققة لقرار مجلس الأمن ، مع تجاوز بسيط فـى الشروط ، وواعـدة بتحقيق السلام الشامل العادل فى الشرق الأوسط .

ولعل ذلك ما سمح لنا بأن نركن إلى الحلم ساعة من الزمان ، برغم معاناتنا للواقع المتوتر المتجهم ، فلنحلم بما ينبغى أن يتم فى عالمنا الصغير الذى أنهكته الحروب ومزقته الخلافات .

فأوّلاً : يجب أن يعود الكويت إلى استقلاله وتعود إليه سيادته .

وثانيًا : يجب أن نمضى بنفس العزم فى حل المشكلات الراكدة فى فلسطين والجولان ولبنان .

وثالثًا : يجب أن نحل الخلافات العربية ، ما تعلق منها بالحدود أو الأقليات ، وفى مقدمتها الخلافات القديمة بين العراق والكويت .

ورابعًا : يجب المبادرة إلى تنفيذ التكامل الاقتصادى على أُسس عادلة

بين الأغنياء وغيرهم ، فعلى غير الأغنياء أن يمهدوا أرضهم لتكون موضع الثقة والأمان للاستثمار ، وعلى الأغنياء أن يتوجهوا بقرار نهائى إلى استثمار أموالهم وتحقيق أرباحهم فى تطوير وطنهم العربى الكبير ، والوثوب به إلى العصر .

وخامسًا : يجب على كل وطن عربى أن يسد الفجوة التى تفصل بينه وبين العصر الحديث فى نظام الحكم ، واحترام حقوق الإنسان ، والاعتماد فى التصدى لمشكلاته على العلم ، مؤيدًا ذلك كله بإيمانه العريق ومبادئه السامية ، ومَنْ يدرى ، فلعل ذلك الانفجار لم يقع إلاَّ ليشدنا إلى التصدى لأمراضنا ، ويبلغ بنا الفرج بعد الشدة !

(٢٩ / ١١ / ١٩٩٠)

حوار مع الرؤيـة

إننا بإزاء رؤية جديدة تصلح للمشاركة فى عالم جديد ، وأعتقد أن هذه الرؤية تقتضى إحداث حركتين : إحداهما فى الداخل ، والأخرى فى الخارج .

فبالنسبة للداخل يجب التركيز على ما يأتى :

أولاً : أن نستكمل أبعاد ديمقراطيتنا بكل ما تتطلبه من عمل دائب وشجاعة فائقة ، يجب أن نعيد النظر فى الدستور ليكون مصباحًا للاستنارة ، ومظلة لحقوق الإنسان ، ودرعًا للعدالة والقضاء ، وقوة للشعب من أجل الشعب ، وضمانًا للوحدة الوطنية ، ووعاءً للمبادىء الإنسانية والقيم الدينية ، مع تطهير جونا من مختلف القوانين الاستثنائية ، خاصة ما يتعلق منها بالتقاضى والصحافة ، وسيكون ذلك أساسًا للاستقرار المنشود ، يطمئن به المواطن والمستثمر فى آنٍ واحد .

ثانيًا : أن نولى البحث العلمى ما يستحقه من إيمان ورعاية . . وأن نضع العلماء حيث يضعهم العصر ليتولوا القيادة العلمية فى جميع الأنشطة ، وأن نذكر أن ألمانيا واليابان ـ المهزومتين ـ استردتا مكانتهما بالعلم ، فحققتا به نصرًا ما كان ليتحقق إلاَّ بحرب ثالثة يُكتب لهما فيها

النصر . فللعلم الكلمة الأولى فى كل ميدان ، وهو وحده الذى يكفل المساواة بين أمَّة صغيرة وأخرى عملاقة .

ثالثًا : أن نستكمل ثورة التعليم ، باعتباره المهد الذى تتربى فيه البذور الصالحة لازدهار الديمقراطية والبحث العلمى ، بالإضافة إلى بناء الفرد على أسس دينية وقومية وثقافية ، لخَلْقِ المواطن المنتمى الذى يعد العمل والمعرفة والتفكيرَ عبادة .

وأنا لم أتعرض للمشكلات المتحدية ، فهى محفوظة متداولة فى الخطة الشاملة ، ولكنى أتحدث عن الخطوط العريضة لرؤية جديدة .

وبالنسبة للخارج فأعتقد أن الأمر لم يعد كما كان فى الماضى بحثًا عن مجال حيوى ، أو تطلّعًا لزعامة ، فقد يكون ذلك مهمًا ، ولكن الأهم منه اليوم أن نعرف أى نغمة يمكن أن نعزفها فى السيمفونية العالمية ، بحيث يحدث اشتراكنا طربًا لا انشازًا قد يجر علينا المتاعب . يجب أن نعرف قيمة السلام مع العالم لتتهيأ لنا فرص الازدهار فى الداخل .

إنه عالم جديد لا يطالبنا بالقوة بمعناها المعهود فحسب ، ولكنه يطالبنا بما هو أشد وأبقى . . يطالبنا بالعلم والحكمة والعمل الدائب .

(٣ / ١٢ / ١٩٩٠)

كيف يتحدى الرئيس صدام حسين إرادة العالم بهذه الصورة المستفزة؟

لعل هذا ما أغرى البعض بتصور تمثيلية مرسومة . وأنه يلعب الدور المتفق عليه وهو على أتم ما يكون من الطمأنينة .

وهذا التصور إنْ جاز أن يُقْبَلَ بين دولتين فمن الصعب قيامه بين دولة والعالم كله ، فضلاً عن ذلك فإن التمثيلية المزعومة اقتضت تحريك جيوش ومعدات لم يعهدها العالم إلا فى حروبه الكبرى ، وانفجرت فيها براكين الغضب من الجانبين لدرجه تفوق أى اتفاق أو تآمر ، وبالإضافة إلى ذلك فإن التراجع بدون تحقيق القرار العالمى ينقضُّ كالصاعقة على كرامة الأمم العظمى وبقية الأمم ، وعلى الآمال التى عقدها البشرحول قيام عالم جديد فى نياته وأسلوبه وأهدافه .

وإذن فالنزاع جد لا هزل ولا تمثيلية ، ولنسأل من جديد عن موقف الرئيس المتحدى للإرادة العالمية ، ولنستبعد أيضًا فروض الجنون وما يلحق به من أعراض الاستبداد ، فالرجل يُحاوِر ويُداوِر ، ويحتمى بمهارة بقضايا المنطقة وثرواتها ، ولا يرفض السلام ، ويطالب بالمفاوضة ، ويُحَمِّل خصومه مسئولية العواقب الوخيمة المتوقعة .

الذى أتصوره ـ والله أعلم ـ أن الرجل مازال يتعامل مع العالم الذى

نشأ فيه وتمرس بأساليبه ، وحفظ قاموسه وحيله ، ولم يُصدِّقْ بعد أن الدنيا تتغير ، وأنها تتطلع إلى حياة جديدة .

لقد كان العالم القديم غابة مملوءة بالشعارات الجميلة والنيات الخبيثة والأفعال الإجرامية . وكانت عُصْبَةُ الأمم بعد الحرب العظمى الأولى عصابة من الأقوياء لاستغلال الضعفاء ، وظلت هيئة الأمم بعد الحرب العظمى الثانية تتأرجح بين الخير والشر ، مُدَّخِرَةً « الفيتو » لحماية القوة فى المواقف الحرجة ، ثم جاء الوفاق بين الشرق والغرب فَآذَنَ بمولد عالم جديد .

وشاء حظ الرئيس العراقى أن يكون سلوكه « التقليدى » أول اختبار لهذا العالم فى توجهاته الحديثة . ونستطيع أن نقول : إن العالم قد نجح حتى الآن فى الاختبار ، وأنه لن يرضى بالهزيمة .

فعلى الرئيس العراقى أن يدرك ذلك ، وأن يذعن للمشيئة العالمية ، فينقذ وطنه العراقى وأمته العربية ، ويقدم أول مثل طيب فى احترام القانون والتوافق مع العالم الجديد .

(١٠ / ١ / ١٩٩١)

اعترافات نصف الليل

تحت راية الأمل الخفاقة تمر سُحُب معتمة من القلق والهواجس ، ولكن المستند إلى صخرة المبادىء لا يجوز عليه الخوف ، فهو يعرف طريقه ، ويرضى عن مصيره ، وقد تمخض الموقف عن صورة مأساوية غريبة ، صورة العالم يُحاصر مخزنًا للبارود يقوده رجل شرير . . لم أستطع أن أقول إنه رجل مجنون ، إذْ أنَّ المجنون لا يعى شيئًا ، ولا يبالى بشئ ، على حين أن رجلنا مازال يعى بأنانيته ، وقد أدرك أنه فَجَّرَ جحيماً فى أركان وطنه الطيب ، فَهَرَّبَ من نيرانه أسرته وأبناءَهُ ، غير مبالٍ بشعبه الذى يعانى صباح مساء ، والذى نشاركه آلامه وأحزانه .

ذلكم هو صدام حسين الذى يحارب ، لا أملاً فى انتصار ، ولكن طمعًا فى نشر الدمار والخراب والفوضى ، كى تبلغ أقصى ما يمكن أن تبلغه من البلاد الآمنة ، وتهلك أقصى ما يمكن أن تهلكه من الأنفس البريئة ، ما أشبه عمله بعمل إبليس الذى يفعل ما يستطيع وفوق ما يستطيع من شر ، دونما أدنى أمل فى الخلاص . فإذا لم يضطر إلى إصدار قرار الانسحاب ليقى شعبه نيران الجحيم ، فالأمل الباقى هو القضاء عليه فى أقصر وقت ممكن . . يجب القضاء عليه سريعًا لحصر خسائرنا وآلامنا فى أضيق دائرة من سوء الحظ والتعاسة .

ولنذكر فى مأساتنا أننا نكابد ما نكابد جزاء ضعفنا وتدهورنا وتفريطنا فى كرامتنا ، دون حاجة إلى مكيدة أو سيناريو من الأشباح العالمية .

نحن الذين نخلق الأصنام ونعبدها ونُمَكِّنُهَا من العبث بمصائرنا .

إنَّ فينا من تفتنه القوة ولو حادت عن الحق والشرف .

وفينا من يرحب بالغزو إنْ أَنِسَ منه خيرًا لنفسه .

وفينا من يفرح للسرقة إذا أمل أن ينال حظًّا منها .

وفينا وفينا وفينا ، مما جعلنا مستودعًا للخرافات ، والانتهازية ، والأمراض العقلية .

فليكن لنا من هذا الزلزال صحوة ، وفرصة نرى فيها أنفسنا على حقيقتها . . والله لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم .

(٢٤ / ١ / ١٩٩١)

المصالح والمبادىء

يقولون إن السياسة مصالح ولا علاقة لها بالمبادىء والأخلاق ، وقد ساءت سمعة المصالح من مصدرين .

الأول : التاريخ ، فهو حافل بالمكائد والدسائس والمؤامرات والحروب التى أهلكت الملايين من البشر ، وأَذَلَّت المئات من الدول فى سبيل مصالح الأقوياء .

الثانى : الحياة اليومية التى تقسم فيها الناس بين رجال مبادىء ، ورجال مصلحة ، لا يتورعون عن أى انحراف تحقيقًا لمصلحتهم .

فَصَحَّ فى الأذهان سوء سمعة المصالح مع خطورة الدور الذى تلعبه فوق مسرح السياسة . أحاول اليوم أن أتناسى ما صحَّ فى الأذهان ، وأن أتفحص معنى المصالح من جديد ، فكيف ينبغى لنا أن نفهم المصالح؟

مصلحة أى أمة هى المقومات والأسباب التى تقوم عليها حياتها وحضارتها ، مثل النيل لمصر وبلاد وادى النيل ، والبترول لبلاد الحضارة الحديثة ، وغير ذلك . وهى بهذا المعنى خيرٌ مُطْلَق ، وواجب كل دولة وكل مسئول فيها المحافظة عليها .

ولكن كيف تتحقق المصالح ؟

هنا تتعدد الطرق والوسائل تبعًا للظروف والأحوال .

فقد تهيمن على العالم روح القوة والمنافسة فتحقق المصالح بأى وسيلة بدون نظر إلى المبادىء أو الأخلاق ، فتكون الدسائس والمؤامرات والحروب والاستعمار بكافة أقنعته .

وقد يتعلم العالم من تاريخه القاسى دروسًا ، فيميل إلى التعاون والشرعية ، ونبذ المؤامرات والحروب ، كما نشهد اليوم مِنْ تَوَجُّهِ أوروبا نحو الوحدة ، والوفاق بين الشرق والغرب . وإذن فأستطيع أن أقول - وأرجو ألاّ يخيب رجائى :

إن المصالح خيرٌ مُطْلَق .

وإن السياسة الرشيدة وثيقة الصلة بالمبادىء والأخلاق ، ولا غنى لها عنهما .

ولعلنا لا نختلف مع صدام حسين ومؤيديه فى المصالح ، ولكننا نختلف فى الطريق ، فهم يُكَرِّمُونَ الغزو والنهب والسرقة ، ونحن نتمسك بالقانون والتعاون والشرعية والسلام .

(٣١ / ١ / ١٩٩١)

اعرفْ نفسك

مَنْ مِنَ العرب يرفض الرئيس صدام حسين ؟ ومَنْ يؤيده أو يتعاطف معه ؟

فى محاولة الإجابة عن هذا السؤال اختبار لأنفسنا وخباياها ، ودراسة لمجتمعنا وما يموج به من تيارات ، وقديماً دعا الحكيم كل إنسان بقوله المأثور : « اعرف نفسك » .

لقد رفضه بشدة جميع الذين يتمسكون بالمبادىء والعهود ويؤمنون بالأمن العربى ، ويتطلعون إلى غد يجتمع فيه العرب فى وحدة تقوم على الإخلاص والتعاون والرغبة المشتركة فى التقدم وفى ظل سلام وتوافق مع الشرعية الدولية .

وأيده من تبهرهم القوة دون اهتمام بمبادئها ، ويؤثرون المنفعة من أى طريق جاءت ، ولا يبالون بالمبادىء والعهود ، ولا يصدقون أنَّ عالمًا جديدًا يتشكل ، فمازال الماضى السيىء يشدهم إليه بذكرياته المُرة وسلوكياته الغادرة .

وقد نشأ الفريقان نشأة طبيعية تتناغم مع رؤيتهم للحياة ومدى توافقهم معها ، ولعله من حُسن الحظ أن الفريق الرافض هو الغالب إذا

اعتمدنا فى تقديرنا على ما يجرى فى مصر ، وما يموج به الشارع المصرى ، وتشير إليه الإحصائيات..

ولكن ليس جميع مؤيدى صدام من تلك النوعية التى لا تخلو من منطق خاص ، وأن يكون منحرفًا ، فقد انضم إليهم فريق أدمن العداوة للغرب ، وتمادَى فيها حتى صارت من مقومات حياته وأسس توجهاته ، ربما لأسباب كان لها ما يبررها قديمًا ، ولكنهم عكفوا عليها ، فَتَغَيَّرَ العالم وأَبَوْا أن يتغيروا . . أيد هذا الفريق صَدَّامًا ، لا حُبًّا فى صدام ، ولا إيمانًا بما فَعَل ، ولكن كراهية فى الغرب ، حتى إذا اتفق معنا فى المصالح والمبادىء . .

وهناك فريق آخر من المؤيدين ، هم خصوم الحكومة ، لأسباب داخلية سياسية أو اجتماعية ، فجرفتهم الخصومة إلى تأييد مَنْ ترفضه الحكومة وَرَفْضِ مَنْ تؤيده مجاراة لعواطفهم ، ودون محاولة لاتخاذ موقف قومى يتفق مع العقل والمصلحة القومية كما فعل خصوم آخرون .

هذه صورة تعكس لدرجة ما واقعنا ، والحق أنه ليس كل واقعنا ، فثمة فئات قليلة لاوَزْنَ لها ، منها مَنْ يُصَدِّرُ مَنْ تلعب به الأحداث ، فيكون فى الصبح على رأى وفى المساء على رأى ، لكننى ركزت على التيارات الثابتة ، والصورة فى عمومها لا تخلو من قُبح ، ولكنها أبعد ما تكون عن اليأس ، وأختم بما بدأت به من القول المأثور : « اعرف نفسك» لعلنا نُحسن التعامل معها ومع الآخرين .

(١٩٩١/٢/٧)

بطـل الترسـو

من الملاحظات المثيرة التى لا تخفى على عشاق السينما تحيز جمهور الترسو وإعجابه بالشرير إذا توافرت فيه الجُرْأة وقوة الحيلة والمهارة فى الكر والفر ، مما يهيىء له انتصارات وقتية على رجال الشرطة قبل أن يقع فى قبضتهم ، وكثيرًا ما انتحلنا الأعذار لذلك الجمهور لحداثة سِنه ، وسوء تربيته ، واستعداده الذى لا حيلة له فيه للانحراف ، وكراهيته للقانون وأهله .

وقد « عشنا وشفنا العجب » كما تقول الأغنية القديمة ، عشنا لنسمع عن تحيز جمهور عربى لشرير عربى حقيقى لا من خيال الأفلام ، يتحدى العالم بانحرافه ، حتى مرغ سُمْعَةَ العرب فى التراب . وتخطت ظاهرة الإعجاب هذه المرة الأحْدَاث إلى رجال يُعدون من صفوة المجتمع وأبنائه الراشدين ، هم الذين يشجعون اليوم صَدَّامًا ، ويدافعون عن انحرافاته غير مبالين بضحاياه من الدول والبشر والمبادىء .

لا أنكر أن صمود العراق تحت المطر المنهمر عليه من القنابل يستحق التقدير ويثير الأحزان ، ولا أنكر أننى أتجرع الحسرة كل يوم مرات أن هذه القوة لم تُدَّخَرْ لدعم الأُمَّة العربية وحل مشاكلها وتحقيق السلام القائم على العدل ، ولكن « صدام حسين » أهدرها برعونة وجنون ، مرة فى الانقضاض على وطنٍ إسلامى ، وأخرى فى ابتلاع وطن عربى ، وأنه

بسوء تقديرة واندفاعه المَرَضِيّ شق العرب نصفين ، وزلزل أمتهم ، ودعا العالم كله إلى إدانته وتأديبه ، وكرس ذاته عاملاً من عوامل الدمار كالزلازل والبراكين .

إنه صورة قبيحة تعمل خارج نطاق العالم الحديث وآماله وتطلعاته الطيبة . . إنه يصر على رفض الحلول السلمية ، ويهدد بالرهائن ، وينكل بالأسرى ، ويطلق صواريخه على المدنيين ، ويتباهى بأسلحة الدمار الشامل ، ويلوث البيئة ، وينشر الدمار فى منطقته القومية بدون مبالاة بأى مسئولية أو قيمة بشرية .

وبفضل إعجاب جمهور « الترسو » الحديث صارت الصورة القبيحة رمزًا للعرب والمسلمين ، وغير خافٍ مايلاقونه فى بلاد الحضارة من سوء المعاملة والازدراء . ومازالت الجهود تُبذل لإنقاذ المجرم ، وتبرير الجريمة على حساب الأبرياء المظلومين والقيم الشريفة ، على حين أنه لم يبق لنا من عزاء وسط الأحزان والمآسى إلاّ أن تنتهى الكارثة بِنُصْرَةِ الحق والعدل والقيم البشرية الشريفة .

(١٤ / ٢ / ١٩٩١)

بـاب الأمـل

فى بيان العراق الأخير لَهْجَةُ المنتصر الذى يُملى شروطه ، لذلك رفضه الجانب المحارب واستمر فى حربه ، ولكنّ ثمة ظاهرتين تدعوان للأمل : أُولاهما : تسليم الرئيس العراق لأول مرة بمبدإ الانسحاب من الكويت، وثانيتهما : فرحة الشعب العراقى بما ظنه نهاية عذابه وبدء استئنافه لحياته الإنسانية الطبيعية .

بالنسبة للرئيس العراقى الذى سَلَّمَ بمبدإ الانسحاب من الكويت لا يجرؤ أن يتجاهل فرحة شعبه بإنهاء عذاب الحرب ، لقد جاء إعلان الفرحة كاستفتاء تلقائى يجب احترامه ، والركون إليه إذا اقتضى الأمر تغييرًا فى الخطاب أو تراجعًا عن العناد ، ولن يضير زعيمًا أو يقلل من شأنه أن يصغى إلى صوت شعبه وينفذ رغبات ضميره ، بل العار ـ كل العار ـ أن تأخذه العِزَّةُ بالإثم أمام شعبه .

أما الشروط التى وصفها السيد رئيس جمهورية مصر بأنها تعجيزية فيجب أن تكون الآن موضوع مفاوضة بين المتعاطفين مع العراق والمسئولين العراقيين ، ويجب أن يتم ذلك بدون إبطاء .

من هذه الشروط ما يُعَدُّ تعجيزًا واضحًا فيجب حذفه .

ومنها ما يُعَدُّ من مطالب الأمة العربية التى لا تكف عن التفكير فيها

وإعداد العُدَّة لها ، مثل القضية الفلسطينية ، والجولان ، وجنوب لبنان، وخلافات الحدود بين البلاد العربية .

على المتعاطفين أن يُقنعوا الرئيس العراقى بالانسحاب بدون قيد أو شرط تنفيذًا لقرارات مجلس الأمن ، ورغبة الشعب العراقى .

وعليهم من جهة أخرى أن يُطالبوا مجلس الأمن والأمم المعنية بإعلان تعهدها بحل المشكلات الباقية بعد إتمام الانسحاب ، وعودة الشرعية إلى المنطقة .

يجب ألاَّ تضيع دقيقة بدون عمل ، فكل دقيقة تمر يهلك فيها أرواح وعمران .

(١٨ / ٢ / ١٩٩١)

حائط المبكى العربى

علينا أن نسلم بأن لكل خطأ ثمنه . الحياة البشرية جهاد مستمر يطالبنا فى كل لحظة ببذل ما نملك من قدرات وحِكْمة ، وهو جهادٌ قاسٍ لا يعرف الرحمة ، ولا يتسامح مع ضعف ، ولا يغضى عن هفوة ، لا مكانَ فيه لمُهملٍ أو مُتَسَيِّبٍ أوْ لاهٍ أو عابثٍ . على المُخطىء أن يدفع ثمن خطئه ، وعلى جميع من هَادَنَهُ أو خُدِعَ به أوسكت عنه أن يُقاسمه العقوبة ويشاركه المصير .

قد يستبد طاغية بالسلطة ، ويجر بطغيانه الويلات على أمته ، ونتساءل فى رثاء : وما ذنب أمته ؟ ألم يكبلها بالأغلال ؟ ألم يُسقط عليها الحديد والنار ؟ ولا أُهَوِّنُ مِنْ شأن الأغلال ، ولا أستهين بالحديد والنار ، ولكن الحياة فى تقدمها لا تقيم وزنًا لتلك الأعذار ، وتدمغ الشعوب التعيسة بالذنب ، وتحملها المسئولية ولا تعفيها من العقاب . لا يمكن القضاء على طاغية دون المساس بشعبه . . ولا مكان فى قاموس الجهاد لإيثار السلامة والصبر والتواكل . لقد تعاقبت علينا الدروس ، وفى أعقاب كل درس نعاهد أنفسنا على استيعاب الدرس وتغيير الواقع السيىء ، ثم سرعان ما ننسى ، وتتكرر الجريمة ، ويتكرر الاستسلام ، ويقع الخطأ ، ويجىء العقاب ، ويجرفنا فيها يجرف ، ويتصاعد الأنين ، ونبدو كأننا حملان بريئة ، وما نحن إلا مذنبون .

بسبب ذلك الكسل الحضارى تتفجر أزماتنا كالبراكين ، وتتطاير منها الكوارث ، ثم نكون أحسن ما نكون ، ونفكر فى البناء والتعمير ، ونكتسب سُمعة طيبة ، وإذا بطاغية يطلق كلمة هوجاء ، أو يرتكب إثمًا خبيثًا ، أو يسلك سلوكًا بهيميًّا ، فإذا بنا نتخبط فى الشقاق والعداوة ، وإذا بالعالم يتكتل ضدنا كعصابة من الخارجين على القانون ، وتنهار سُمعتنا وتتردى ، ونصبح عنوانًا للهمجية والفساد .

ويتصدى فلاسفة السياسة وقراء الغيب لهتك الظُّلُمات ، ويسلطون أنوار بصائرهم على المكائد والسيناريوهات والإمبريالية العالمية ، وقد يصح الخيال أو لا يصح . ولكن لماذا نهرب من وضع أنفسنا على المشرحة ؟ . لماذا لا نحدد مسئوليتنا ونحن المؤثر المباشر ؟ لقد سكتنا حين وجَبَ الكلام ، وتراجعنا حين وجب الفعل ، تركنا أعناقنا للأفَّاكين والدّجَّالين وأشباه الرجال ، وتخلينا عن مسئوليتنا وتراثنا الحقيقى من العزة والجهاد .

وتقع الواقعة ، فنلتف حول حائط المبكى العربى ، لنَسْفَحَ الدموع ، ونلعن الإمبرالية العالمية .

(٢١ / ٢ / ١٩٩١)

المأساة بين الواقع والخيال

الوقائع التى تزلزلنا هى أن زعيمًا عربيًّا غزا الكويت ونهبها ثم ضمها إلى وطنه ، .ونتيجة لصُنْعِهِ تمزق العرب ما بين مؤيد للشرعية والمبادىء والمصلحه العربية القائمة على الحرية والعدل ، ومنحاز للقوة بأى ثمن . ووجد العالم فى الغزو ما يتحدى مصالحه ومبادئه الجديدة ، فأصدر قراراته المعروفة ، وبُذِلَت المساعى العديدة من الشرق والغرب لحل المشكلة حَلاً سلميًّا ، ولكن المساعى تطايرت على صخرة عناد الزعيم ، فكانت الحرب ، وناور الزعيم بكل وسيلة غير مشروعة ، فساوَم بالرهائن، ونكَّلَ بالأسرى ، وأطلق صواريخه على المدنيين ، ولوث البيئة، ومازال يهدد بالمزيد من المنكرات حتى مرغ سُمعة العرب فى التراب ، وجعلهم رمزًا للهمجية والشر .

هذا هو الواقع ، أما تفسيره فقد اختلفت الآراء :

البعض وجد فى تسلسل الأحداث ، وطبيعة الزعيم ، والخلفية التاريخية التفسير الكافى ، فالحدث فى النهاية ثمرة رجل دموى طاغية ، له سابقة فى الاندفاع إلى الحرب ، وعليه شهادة دامغة بقصر النظر ، وسوء تقدير العواقب .

ولكن البعض الآخر يتخطى الأحداث والمشاهدات إلى ما وراءها ،

فيزعم أن التراجيديا التى نكابدها نتيجة مكيدة حِيكَتْ للسيطرة على العرب وثرواتهم ومستقبلهم ، وأن الزعيم العربى يلعب دوره فى التراجيديا بوعى أو بغير وعى .

الاختلاف كما ترى فى التفسير فقط ، وفى الحكم أيضًا على « صدام حسين » فنحن نقول : إنه عربى طاغية ، سيىء التقدير والسلوك ، أما هم فيقولون : إنه عميل أو مغفل .

الغريب فى الأمر أننا فى حدود تصورنا نطالب بعودة الشرعية ، بالانسحاب من الكويت ، ولا نرى بأسًا من تأديب الطاغية إذا أصَرَّ على الرفض .

أمَّا الآخرون فينادون بإيقاف الحرب بلا شروط ، مما يعنى التستر على الجريمة ، وإنقاذ الرجل الذى كشف خيالهم المبدع عن كونه عميلاً أو مغفلا .

كان الأجدر بهم أن يتفحصوا واقعهم ، وأن يتساءلوا عَمَّا يجنبه الوقوع فى المكائد ، وعَمَّا يؤهله للتصدى لعالم يموج بالمكائد والدسائس ، عن نظام الحكم ونوعية الرجال التى تقود السفينة بدون انزلاق إلى الغفلة أو الخيانة ، ولكنهم لا هَمَّ لهم إلاَّ إنقاذ المجرم والتغطية على الجريمة .

أيها السادة :

نحن برغم الآلام والأحزان متفائلون بالعواقب ، نأمل فى عودة الشرعية ، وحل مشكلات المنطقة فى ظل مبادىء دولية جديدة وطيبة .

وأنتم متشائمون ، لا ترون فيما يجرى وما يُقال إلاَّ تكرارًا للماضى

بمآسيه القهرية الاستعمارية ، ولا أزعم أننا فى تفاؤلنا على يقين مائة فى المائة ، فلا تكونوا فى تشاؤمكم على يقين مائة فى المائة .

لننتظر شهرًا أو بضعة أشهر وسوف تنجلى الحقيقة ناصعة . . إنْ تكن خيرًا فخير . . وإن تكن شرًّا فقد تعلمنا من ماضينا أنْ نتعامل مع الخير بما يناسبه ، ومع الشر بما يناسبه .

(٢٨ / ٢ / ١٩٩١)

المأســـاة

فى هذه الفترة من التاريخ تعبر الجو العربى ثلاث موجات من الإحباط :

الأولى : موجة فقرٍ ومعاناة فى بعض أوطانه وطبقاته ، جعلت من الحياة عبئًا لا يُحتمل ، وألقت على وجه المستقبل قناعًا أسود ، داعية الناس للرفض والتمرد .

الثانية : هى قضية فلسطين ، وتَمَادِى إسرائيل فى التشدد واستعمال العنف ، كما نشاهد كل يوم فى الأرض المحتلة وجنوب لبنان ، وقد تركت تلك الممارسات جرحًا عميقًا فى كبرياء كل عربى ، وأغرته بالتلهف على القوة بأى ثمن ومن أى سبيل .

الثالثة : موجة دينية متطرفة أوقفت الزمن عند نقطة لا يتجاوزها ، واعتقدت ـ تبعًا لذلك ـ أن الحروب الصليبية مازالت قائمة ، وأن الإسلام مازال هدفَ المتربصين ، وأنهم مازالوا يكيدون له بالسلاح والرأى والثقافة .

من أجل ذلك وجد رجل مثل « صدام حسين » قطاعات عربية غير قليلة تُبايعه على الزعامة ، وتعلن استعدادها لافتدائه بالروح والدم .

ومَنْ هو صدام حسين ؟

إنه رجل لا يخلو من قوة ذاتية ، ولمسات من سحر الزعامة ، ولكنه جاهل على المستويين : المدنى والعسكرى ، طموح ، أنانى ، دموى كفرد ، طاغية ، لا يطيق رأيًا مُخالفًا ، أو شخصًا ذا استقلال وقوة ، وقد تولى شئون العراق وهى تتقدم بخُطًى ثابتة ، فزادها تقدمًا ، حتى تنبأ له كثيرون بمستقبل عظيم ، وإذا بالطاغية يدفع بها إلى حرب إيران ، مستهترًا بكل المبادىء الإسلامية ، ويحيلها إلى أمة مَدِينة مثخنة بالجراح ، ثم يدفعها مرة أخرى إلى التهام الكويت ، مستهينًا بالمبادىء العربية والشرعية الدولية .

وتتابعت فصول المأساة كما نذكرها جميعًا ، وفى أثنائها وضحت للعين بقايا الخافى من شخصيته ، وضح أنه « جعجاع » قليل الأدب ، سيىء الرأى والسلوك ، لص ، غادر ، يعبث بالرهائن والأسرى ، يعتدى على المدنيين ، يلوث البيئة ، يحرق آبار البترول . . إنه بإيجاز : أقبح وجه عربى ، وأسوأ عنوان ، وشَرُّ مَثَلٍ . . كيف وُجِدَ هذا الكائن المرذول ؟ مَنْ يُشايعه ؟ أو يتبعه ، أو يتعاطف معه ؟

ارجع إلى موجات الإحباط الثلاث لعلك تجد تفسيرًا ، ولكنه ليس بالعذر ، وبحسبه أن يجعلنا نتأمل مأساتنا الأخلاقية ونتلمس جذورها .

علينا أن نقهر الفقر ، وأن نحل القضية ، وأن نعالج التطرف . وهو طريق طويل ، ولكنه يبدأ بالديمقراطية الكاملة .

(٤ / ٣ / ١٩٩١)

معركة السلام

لقد انتصرت القوات المتحالفة فى معركة الخليج ، وعليها الآن أن تنتصر فى معركة السلام . . لقد انتصرت تحت مظلة قرارات عالمية ، أدانت العدوان ، وتمسكت بالشرعية والقوانين الدولية ، فالمنتظر والمأمول أن تقيم دعائم السلام على نفس المبادىء ، فتؤكد صدقها وعدالتها ، وتجهض رأى خصومها الذين دعوا إلى الحذر من شعاراتها ، واعتبروها غطاءً لنوايا شريرة تستهدف السيطرة على المنطقة وثرواتها ، وكم من معاهدات صُلح هيأت للمنتصر ما يشتهى من انتقامٍ من عدوه ، وإذلالٍ له ، وقضاء على قوته وكرامته ، فحققت سلامًا مؤقتًا ، ومهدت لحرب تالية راح ضحيتها الملايين من البشر ، والمليارات من الأموال .

إن حرب الخليج هى أول تجربة يصادفها العالم وهو يعمل على تغيير سياسته إلى سياسة جديدة تقوم على التعاون والعدل والنظرة الإنسانية الشاملة ، فنجاح العالم فى علاجها هو بمثابة وضع حجر الأساس فى بناء عالم جديد لبشرية جديدة . وطالما دار الحديث حول نظام أمنى جديد للمنطقة يحقق الاستقرار والنمو ، ويضمن للأمم مصالحها فيها ، ولا يواجهها بالأزمات على فترات دورية .

وهذا النظام الأمنى لا يقتصر على تنظيم القوات العسكرية ، ولكنه يقتضى قبل ذلك ـ أو مع ذلك ـ حل المشكلات التى تتسبب فى خلق الأزمات والاضطرابات ، وتصدير الضرر إلى جميع أنحاء العالم .

علينا أن نتصدى لحل القضية الفلسطينية بما يحقق السلام الشامل القائم على العدل ، كذلك الجولان ، وجنوب لبنان ، وعلينا أن نحل مشكلات الحدود حلاً حاسماً ونهائيًا .

علينا أن نفرغ من جميع أوزار الماضى ليتسنى لنا بدء حياة جديدة تتناول كل ما ينقصنا فى أنظمة الحكم والتكامل الاقتصادى ، والتوجه الحضارى نحو العلم والحضارة ، فى ظل السلام والإيمان والإخوة البشرية .

(١٩٩١/٣/٧)

العودة إلى البيت

غَدَاة إيقاف القتال وَجَّهَ السيد رئيس الجمهورية نداءً عربيًا ، من أبرز نقاطه :

١ ـ استعادة الثقة بين الأوطان العربية .

٢ ـ تسوية النزاع العربى الإسرائيلى .

٣ ـ إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل .

٤ ـ تسوية الخلافات بين البلاد العربية .

٥ ـ التركيز على الأمن والتنمية .

٦ ـ تعزيز مسيرة الديمقراطية .

وبالنسبة لمصر يجب أن تعود إلى جدولة أهدافها ، وتوجيه الهمة إلى تحقيقها بِنيَّةٍ صادقة ، وعزيمة صلبة ، ومثابرة لا تتوقف .

وفى مقدمة هذه الأهداف ـ ونحن نُجْمِلُ ولا نُفَصِّل :

١ ـ تعزيز مسيرة الديمقراطية بإعادة النظر فى الدستور ، وإلغاء القوانين الاستثنائية ، والتركيز على احترام حقوق الإنسان ، والوحدة الوطنية .

٢ ـ التركيز على المشكلة الاقتصادية ، وتهيئة الأرض للعمل

والاستثمار، وإزالة كافة العواقب البيروقراطية والقانونية ، والتصدى للمشكلات بالحزم والشجاعة المطلوبين .

٣ ـ الاستمرار فى ثورة التعليم بهدف رَبْطِه بالتنمية والمجتمع ، وإقامته على أسس ديمقراطية تشجع التفكير والإبداع ، والعناية الفائقة المستنيرة بالتربية الدينية والقومية والثقافية .

٤ ـ الاهتمام الواجب بالعلم والبحث العلمى ، وتمكين العلماء من أداء واجبهم فى التخطيط والإرشاد فى كل ما يتعلق بشئون المجتمع ، ويتضمن ذلك شئون البيئة وتنظيم الأسرة .

٥ ـ سيادة القانون سيادة جامعة مانعة ، وتنظيم القوانين وغربلتها ، ويدخل فى ذلك استقلال القضاء وتحقيق مطالب القضاة .

٦ ـ شن الحرب على الفساد والمخدرات والتطرف بشتى الوسائل العلمية والوعظية والأمنية .

نريد أن نتابع أنباء التقدم كما كنا نتابع أنباء الحرب ، فلا يمضى يوم بدون قرار بَنَّاءٍ أو عَمَلٍ صالح .

(١٩٩١/٣/١٤)

المسيرة الداخلية يجب أن تنطلق بدون انتظار أو إبطاء . علينا أن نضع قرارات وزراء خارجية الدول الثماني موضع التنفيذ في كل ما يتعلق بالتعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، ليمضي ترتيب البيت بكل قوة وإخلاص ، برغم أن الشئون الخارجية تطرح نفسها في نطاق اهتمام عالمي غير قابل للتأجيل كذلك .

في مقدمة هذه الشئون الخارجية النظام الأمني للمنطقة ، وهو نظام ـ في تصوري ـ ذو شقين : أحدهما سياسي ، يتعلق بالمشكلات شبه المزمنة التي تنفجر كل عشر سنين في صور أزمات حادة ، وقلاقل وحروب . وثانيهما عسكري ، يتضمن وسائل الدفاع ونوعيته وكثافته .

ولولا أن الشق السياسي يقتضي زمناً يناسبه لاقترحت أن نفرغ منه أولاً ، لأن التفكير في إقامة نظام دفاع لمنطقة مستقرة خالية من المشاكل يُخالف التفكير في إقامة نظام للدفاع من منطقة مرهقة بالخلافات والذكريات الأليمة . فلا بأس إذن من أن نعالج الأمرين معًا وفي وقت واحد .

علينا أن نبدأ بالمشكلة العربية الإسرائيلية ، وهي تتضمن إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل ، وأرجو أن نهتم بالموضوع أكثر من

الشكل ، وأن نركز على المفاوضة بين المتنازعين التى تُسفر عن السلام العادل الشامل.

وعلينا أن نطرح مشكلة الحدود العربية ، ولن نعجز عن إيجاد حل عادل يفتح الأبواب للتعاون الشامل الصادق .

وعند نظر النظام الأمنى العسكرى يجب أن ننظر إليه بعين عربية دولية ، إذ لا يجوز أن ننسى أن الكويت تحررت بفضل التحالف بين العرب والقوات الدولية ، فلا مناص من أن نعتبر مسألة الأمن عربية دولية ، كذلك تتم فى مناخ تعاون ورعاية للمصالح والمبادىء ، وهو أدعى للأمن والاستقرار بالمنطقة ، وأضمن لتهيئة مستقبل خالٍ من المفاجآت المزعجة .

لعله عالم جديد ، يقتضى رؤية جديدة ، وعقلية جديدة .

(١٩٩١ / ٣ / ٢١)

الهدف الأعلى

يجب أن نؤمن بأن الهدف الأعلى للعرب فى هذه الفترة من الزمن هو التنمية الشاملة . إنه يمثل نقلة حضارية من التخلف إلى العصر فى أنظمة الحُكم والزراعة والصناعة والبيئة والتعليم والثقافة والصحة ومختلف الأنشطة التى تؤهل الناس لحياة إنسانية كريمة .

هذا هو الهدف الأعلى ، وماعداه من أهداف فذرائع تهيىء له ، وتمهد وتزيل العقبات من سبيله ، لا أستثنى من ذلك إلا قضايا تحرير الأرض وتقرير المصير ، فهى أهداف فى ذاتها لا ذرائع وغايات لوسائل . أما النظام الأمنى فليس بهدف فى ذاته ، ولا مشكلة الحدود العربية ، ولا تطهير المنطقة من أسلحة الدمار الشامل ، وإنما تكتسب هذه القضايا أهميتها لما تحقق من استقرار ، ولا أهمية للاستقرار إلا باعتباره المناخ المناسب للعمل والتطور ، وإلاَّ فما جدوى استقرار يقوم على الجهل والفقر والتأخر والتهاون فى احترام حقوق الإنسان ؟

إذن فالتنمية الشاملة هى الهدف ، ومالا يجوز تأجيله بحال من الأحوال . علينا أن نؤمن بأن أى نشاط يُبذل فى السياسة الخارجية فإنما نتعامل معه من أجل هذا الهدف الذى يعنى لنا الحياة الحقة ، كما أن التهاون فيه يعنى الانقراض والموت .

وقد تقتضى تصفية القضايا الخارجية وقتًا ، وقد تتعرض لخلافات فى الرأى بين العرب أنفسهم ، أو بينهم وبين الآخرين ، فلا يجوز أن نسمح بأن يؤخرنا ذلك عن البدء فى التنمية ، أو ما يُتاح منها على الأقل.

ربما تعذر إلى حين البدء فى تنمية فى نطاق تكامل عربى شامل ، فيجب أن تبدأ فى نطاق الدول الثمانى المتقفة .

وعلينا أن نتعاهد على ألاّ تتأثر التنمية بالخلافات السياسية التى قد تعرض لنا بين حين وحين . جميع الدول تتفق وتختلف ، أما التعاون الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فيجب أن يمضى فى سبيله بدون توقف، باعتباره الينبوع الذى تستمد منه حياة الجميع متفقين ومختلفين .

معذرة . . لقد أصبح الانتظار ثقيلاً بعد أن عودتنا الحرب على إيقاع سريع تتوالد فيه الأحداث مع كل ساعة ، بل مع كل دقيقة .

(٢٨ / ٣ / ١٩٩١)

التشاؤم والتفاؤل

لا يصح أن نسارع إلى التشاؤم إذا لم يحقق عالم ما بعد الحرب ما كنا نحلم به بالأسلوب والسرعة اللذين تصورناهما . لنتأمل الأمور بالعقل والموضوعية .

فيما يتعلق بالكويت نتلهف على حُسْنِ الجزاء ، ومقابلة الوفاء بالوفاء، وكان أول واجبات الشعب الكويتى بعد التحرير هو أن يرد إلينا استحقاقاتنا ، ويفتح أبواب العمل لأبنائنا . لننسَ الذات قليلاً ، ولنضبط اللِّسان كثيرًا ، ولنفكر فيما حاق بالكويت وأهلها من كوارث لم يتعرض لمثلها شعب من قبل ، لنفكر فى القتلى والمغتصبين ، فى خراب المؤسسات ، فى الحرائق التى تلتهم الثروة وتلوث الجو وتهدد الحياة البشرية ، فى انعدام الماء والكهرباء والمرافق الصحية والغذاء ، ألا يحق لهذا الشعب أن يغضب ويحزن ؟ . . ألا يحق له أن يؤدب من خانوه وقت الشدة ؟ . . ألا يحق له أن يُؤَمِّن نفسه وهو أقلية ضائعة بين وافدين لم يرعوا له حُرْمة ؟ . . مهلاً يا سادة ، إنهم بشر ، وينبغى أن نتعامل معهم كما يليق بالبشر .

وفيما يتعلق بمشكلات المنطقة ربما حلمنا أن يجتمع مجلس الأمن غداة انتهاء الحرب بتنفيذ قراراته القديمة ، وليُوَجِّهْ إنذاراته إلى أىِّ

مُتَعَنِّتٍ . إنما الحل المنشود لجميع تلك المشكلات هو الحل العادل الذى يحقق السلام والاستقرار . ولن يتم هذا إلا بالمفاوضات وتصفية الخلافات . وتنقية الصدور من الضغائن والذكريات الأليمة . إن الحال هنا لا تنطبق تمامًا على أزمة الخليج . لقد بدأت الأزمة بغزوٍ ونَهْبٍ وتحدٍّ، فجاء رد الفعل مثلها فى عُنْفِهِ وحسمه . أما مشكلات منطقتنا فقديمة ، خابت فى حلها مساعٍ كثيرة ، وآنَ الأوان لاقتحامها وتصفيتها، وعلينا أن نمهد لذلك لما لدينا من اقتراحات وتصورات ، وألاَّ نسمح للوقت بأن يضيع منا أو يسبقنا .

حقًّا ، إن قضية الفلسطينيين بالذات هى الامتحان النهائى لصِدْقِ العالم الجديد ، ولكن لا يجوز الحُكم على صدقه قبل أن يتبين لنا موقفه النهائى . وجميع الدلائل حتى الآن لا تدعو للتشاؤم .

(٤ / ٤ / ١٩٩١)

انتحار زعامة

قامت فى العراق ثورة شعبية شاملة ، ولكن الطاغية قضى عليها من خلال معركة غير متكافئة ، وغير إنسانية . وقد برزت فى أثناء الحوادث حقائق جديرة بالتسجيل ، وإنْ كانت لا تضيف كثيرًا إلى الصورة البشعة التى استقرت فى الذهان .

أولاً : شملت الثورة العراق ـ شماله وجنوبه ـ مما يقطع بأن أغلبية الشعب العراقى ترفض الطاغية ونظامه . ففى مقابل انتصار النظام نجحت الثورة فى الإطاحة بزعامة صدام حسين التاريخية ، وتركته حطامَ طاغيةٍ يقوم حكمه على دعائم السلاح والدم والقهر والكراهية ، تلاشى صدام وأسماؤه الحسنى ، وأساطيره وأوهامه ، ولم يبق منه إلا الحقيقة البشعة العارية .

ثانيًا : ثبت أن الطاغية يملك قوة مجهزة بأحدث الأسلحة البرية والجوية ، وأنه ضن بها على الدفاع عن وطنه ، فَيَسَّرَ لأعدائه نصرًا سريعًا مذهلاً بلا خسائر تُذكر ، معرضًا جيشة الرسمى لهزيمة منكرة فى أسوأ الظروف ، أما قوته الحقيقية فلم يخرجها من قماقمها إلاَّ للانقضاض على شعبه المعذب فى معركة غير عادلة لم يُراعِ فيها رحمة ولا وطنية ولا إنسانية ، ليقيم فى النهاية عرشًا على تلال من جماجم الشهداء .

ثالثًا : وكما دلت حوادث الحرب على غبائه أبانت تحريات خصومه على خيانته للذمة والأخلاق ، ففى ظل سيطرته هُتِكَتْ أعراض ، ونُهبت أموال ، وهُربت مليارات إلى الخارج باسمه وباسم أسرته .

رابعًا : أن الطاغية لم يتورع عن تهديد شعبٍ بالإبادة بعد أن سلط عليه مدافعه وطياراته وأسلحته المشروعة وغير المشروعة ، فكان ذروة جرائمه التى بدأت بدمار الكويت والعراق ، والخسائر فى الأرواح والأموال ، مما لا يحدث جزء منه إلاَّ نتيجة للكوارث الطبيعية الكبرى ، كالزلازل التاريخية والبراكين .

حقًّا إذا لم يُقَدَّمْ الطاغية ومعاونوه إلى محاكمة دولية فلا معنى للحديث عن القيم فى هذه الحياة .

(٨ / ٤ / ١٩٩١)

وقفة مع الذكريات

انفجرت أزمة الخليج فى ٢ أغسطس ، وبلغت ذروتها بحرب مدمرة ، وانتهت الحرب بتحقيق أهدافها الأولى ـ تحرير الكويت ـ وتتفاعل الآن عوامل تاريخية معقدة لتتمخض عن مستقبل جديد .

فماذا فعلت بنا فى مصر ؟ وبماذا تعد ؟

سلبيات :

١ ـ فى عالم الاقتصاد بلغت خسائرنا المالية ٢٠ ألف مليون دولار .

٢ ـ ساءت علاقاتنا ببعض البلاد العربية على نحو لم يحدث من قبل ، بل خرج مصريون على الإجماع الشعبى الكاسح فى مصر نفسها .

٣ ـ لم يسلم قلب من الألم على ما حل بالكويت من دمار ، ولا على ما حل بالعراق وشعبه .

إيجابيات :

١ ـ موقفنا من الأزمة القائم على المبادىء السامية ، والدفاع عن المصالح المشروعة .

٢ ـ مبادرتنا إلى حَمْل المسئولية فى تحالف مع إخواننا العرب والقوات الدولية ، وأداؤنا المُشَرِّف فى الحرب مما شهد له الجميع .

٣ ـ بدء تعاون عربى جديد مكون من الدول الثمانى للتفكير فى وضع نظام أمنى ، وتكامل اقتصادى اجتماعى ثقافى ، مع ترك الباب مفتوحًا لمن يشاء أن ينضم إليه .

٤ ـ تنازل دول عربية صديقة والولايات المتحدة عن قَدْرٍ لا يُستهان به من ديوننا .

٥ ـ التحرك شرقًا وغربًا لحل مشكلات المنطقة تطلعًا إلى استقرار راسخ وعدل شامل .

٦ ـ اشتراك جميع البلاد العربية فى اجتماع مجلس الجامعة (٣٠ / ٣ / ١٩٩١) مما يبشر بتصفية الخلافات ولو بعد حين .

٧ ـ تكثيف العناية بالتنمية الشاملة ، كما وضح ذلك فى حديث السيد الرئيس مع رئيس تحرير الأهرام .

الفريضة الغائبة :

شد ما وددنا أن تحظى الديمقراطية بدفعة جديدة تناسب أهميتها فى البعث الشعبى والنهضة المنشودة ، وبخاصة أن الدرس الأول لكارثة الخليج هو أنها ثمرة مرة لرجل مستبد ، ونظام استبدادى ، ولكن باب الأمل لن يغلق فى هذا الشأن إلا ببلوغ المرام .

(١١ / ٤ / ١٩٩١)

مبادرة بــوش

أخيرًا جاءت مبادرة الرئيس « بوش » ، كانت مفاجأة بكل معنى الكلمة ، ولكنها مفاجأة سعيدة لأنصار القانون والشرعية والحل السلمى ، جاءت تبشر بعودة الحق ، مع تجنيب المنطقة ويلات الخراب والدمار وإزهاق الأرواح بغير حساب .

والحق أنه لا أحد يؤيد العدوان ، وما من دولة إلاَّ وطالبت بعودة الحق إلى أصحابه ، والكثرة الغالبة ترفض الحرب وترغب فى الحل السلمى ، وفى مقدمة الجميع الشعب الأمريكى نفسه ، حتى لقد بدا حينًا من الوقت أنه لا يريد الحرب ، إلاَّ الرئيس الأمريكى وقلة معه ، ولو كان « بوش » حاكمًا مستبدًّا أو سيدَ قراره لهَان الأمر ونفذ المقدور ، ولكن ما العمل وهو رمز الديمقراطية فى العصر الحديث . وسارت الأمور خطوة بعد أخرى ، فكانت زيارة الرئيس الأمريكى لدول شتى فى الغرب والشرق ، فالقرار الأخير لمجلس الأمن ، ثم المبادرة .

وهنا يثور فى الخاطر سؤال : تُرَى أكانت المبادرة مفاجأة لنا ـ نحن القراء ـ فحسب ، أم لنا وللدول التى زارها ؟ أرجو أن يكون كل شىء قد تم الاتفاق عليه فى الزيارة ، أو فى الأقل ألاَّ تسفر المبادرة عن تراجع عن مبادىء لا يجوز التراجع عنها .

إنى من دُعاة السلم ، ومن دعاة التفاوض ، ومن دعاة حل جميع مشكلات المنطقة التى تزعزع أمنها كل بضعة أعوام ، ومن دعاة الاتفاق على نظام أمنى جامع مانع ، ولكن إدانة العدوان وإعادة الحق والشرعية من المُسَلَّمَاتِ التى لا يجوز المساس بها أو التساهل فيها .

إن مبادرة بوش مفاجأة سعيدة لنا ، نرجو أن تؤدى إلى الحل السلمى المنشود ، وتحقق الحق والعدل والسلام الشامل فى المنطقة .

(١٨ / ٤ / ١٩٩١)

نحو رؤية جديدة

نشأنا فى عالم تمزقه الصراعات ، موزع بين إمبراطوريات متنافسة ، تهدده الحروب العالمية والمحلية ، وتقوم العلاقات فيه على تسلط القوىّ على الضعيف واستغلاله ، فكان هدفنا الاستقلال ، ثم المحافظة عليه ، والحذر مما هو أجنبى ، وتوجس الشر من ناحيته .

اليوم نحن نستقبل مطالع عالم جديد ، عالم الاتصال السريع ، والمعلومات الوفيرة . . عالم تتقارب أطرافه ، وتتداخل أبعاده ، وتتذاوب آراؤه وتقاليده ، ويبشر بقيام وحدة جغرافية وحضارية .

حَدَثَتْ فى هذا العالم معجزة التلاحم بين أيديولوجياته حتى لتوشك أن تتزاوج ليولد منها كائن جديد ، وقضى على الحرب الباردة ليحل محلها تعاون عالمى يستهدف التعاون والحوار .

ومما يدعو أكثر من التلاحم والتآزر أنه عالم مهدد بكوارث طبيعية ، كالتلوث ، والتغيرات الجوية ، والأمراض المستعصية ، والمخدرات ، مما يستحيل التصدى لها إلاّ على مستوى العالم ، وبجهد البشرية جمعاء .

علينا أن نفكر بأناة وموضوعية فى اختيار الأسلوب المناسب للإسهام فى هذا العالم الجديد ، والاهتداء إلى دور يناسبه ويناسبنا . . علينا أن نضع رؤيتنا القديمة تحت مجهر النقد والبحث . علينا أن نرحب بالأخذ

والعطاء ، وأن نتخلص من عقدة الخوف والانطواء ، وعلينا أن نجد لأنفسنا مكانًا فى النشاط الدولى يتسق مع مبادئه وتوجُّهَاته ، وألاَّ نجعل من أصالتنا عائقًا للانطلاق ، أو سندًا لصراعٍ يمكن أن يُحَل بوسائل أُخرى ، ولنجعل من جوهر أصالتنا هدية نَسهم بها فى إقامة البناء الجديد .

إن هدفنا اليوم أن نتخلص من عقد الماضى المعوقة ، وأن نستمد من مبادئه الخالدة الطاقة الدافعة للحاضر والمستقبل .

(٢٥ / ٤ / ١٩٩١)

دفاعاً عن الحرية والكرامة

تعرضت ثورة العراق الشعبية لقمع وحشى أَوْدَى بالآلاف إلى الهلاك، ودفع بشعب بكامله إلى الفناء ، واقتصرت ردة الفعل فى أول الأمر على الذهول والسخط ، ثم بدأ حركة لِمَدِّ الضحايا بالمساعدات الغذائية والطبية ، وأخيرًا أرسلت بعض القوات لجمع شمل المشردين وحمايتهم .

وقد طالب كثيرون القوات المتحالفة بالتدخل لإنقاذ أرواح الأبرياء ، وتحفظ البعض ، معتبرًا ذلك تدخلا فى الشئون الداخلية لدولة ، قد يمثل سابقة خطيرة يصعب التحكم فيها مستقبلا .

ونحن نعترف بحق كل دولة فى الاستقلال بشئونها الداخلية ، والدفاع عن نظامها المشروع ، مما يمكنها من القيام بالتزاماتها الوطنية جميعًا ، ولكننا نرى أيضًا أن حق الدولة فى ذلك يجب أن يتم فى حدود وقيود .

لأى دولة حقوق بلا شك ، ولكن عليها واجبات أيضًا .

من حقوقها الهيمنة وتنفيذ القوانين ، وتحقيق الأمن والأمان ، والدفاع عن نظامها وحدود وطنها .

أما واجبها فهو أن يتم ذلك فى نطاق حضارى ، وإطار إنسانى ،

والتزام باحترام حقوق الإنسان ، وغير ذلك مما تلتزم به بحكم عضويتها فى هيئة الأمم المتحدة ، فلا يحق لها أن تكرس العنصرية ، ولا أن تضطهد أقلية سياسية أو دينية ، ولا أن تستعمل أسلحتها الثقيلة المعدة أصلاً للحرب والدفاع فى قمع الحركات الشعبية ، وقتل النساء والأطفال ، وتخريب المدن .

نحن فى زمن الأسلحة الفتّاكة القادرة على محو المدن فى أيام ، ولا يجوز أن يُتْرَكَ الناسُ تحت رحمة الطغيان وجنون العظمة وهذيان الاستبداد .

وإذا انحرفت دولة عن الأصول فمن حق هيئة الأمم أن ترسل بعثات لتقصى الحقائق ، فإذا ثبت لها الانحراف ، فلابد من اتخاذ الإجراءات المناسبة ، كالمقاطعة الاقتصادية وغيرها من الوسائل الرادعة ، وما ذاك فى النهاية إلا دفاع عن حرية الإنسان وكرامته .

(١٩٩١ / ٥ /٠٢)

الأصل والصورة

تمخضت حرب الخليج عن الكشف عن صورة عربية ، وإنْ لم تعكس حقيقة العرب جميعًا ، فهى تعكس حقيقة فريقٍ لا يُستهان به منهم . فَلْيُمْعِنُوا انظر فى هذه الصورة بصدق وموضوعية إذا أرادوا حقًّا أن يأملوا فى مستقبل أفضل .

تلك الصورة تقول : إن بعضهم عندما مَلَكَ القوة والبأس اندفع إلى حل مشاكله مع إخوانه العرب بالغزو ، متخطيًا كل وسيلة تفاهم سلمية .

وتقول أيضًا : إنه فى غَزْوِهِ لم يرعَ للإِخُوَّة حُرمة ، ولا لضعف الخصم وعجزه عن الدفاع ، ولا لمبادىء الحرب الدولية ، فقتَلَ الأبرياء ، وهتكَ الأعراض ، ونهبَ الأموال ، وخرَّب مصادر الحياة والعمران . . حقًّا قد أثارت الجريمة غضب جماعات منهم ، ولكن مظاهرات كثيرة خرجت تتعاطف مع المجرم ، حتى أفزعت العالم المتحضر دهشة واحتقارًا .

وتحكى الصورة : أنه عندما اندلعت الحرب مُنذرة بصراع بين قوات حقيقية تخَاذَلَ الجانبُ الآثِم ، وانحسرت عنجهيته عن جهلٍ وجُبن وعجزٍ ، تاركًا قواته فى أسوإ الظروف لتلقى الموت أو الأسْر .

وتقول الصورة : إن الجبان المهزوم حين واجه شعبه الغاضب استردَّ

أنفاسه واستأسَدَ ، وأبرز قواته التى ضنَّ بها عن الدفاع عن وطنه لتقتل الشعب الأعزل والنساء والأطفال ، ولترمى بالجميع فى هاوية الفناء . وغضب العالم المتحضر لما حَلّ بشعب العراق ، وهَبّ لإغاثته وحمايته ، على حين لم تقم مظاهرة واحدة فى بلد عربى احتجاجًا على المذبحة ، وكَأَنَّ الأعين قد استصفت دموعها من قبل تعاطفًا مع المجرم ، فلم تبق دمعة تذرفها على ضحاياه .

أمْعِنُوا النظر فى الصورة كما كشفت عنها الحوادث ، ولا ترجعوا بشاعتها إلى سجايا أصلية فى الفطرة العربية ، فما هى إلا النتيجة الحتمية للتخلف الحضارى وسوء بعض أنظمة الحُكم . الحقيقة أنَّ أعدادًا وفيرة من العرب تعيش تحت وطأة الجهل والخرافة والقهر ، تحيا وتموت بلا أدنى مشاركة فى تقرير مصيرها ، ولا تحظى بِذَرَّةٍ من حقوق الإنسان ، كرامتها بلا وزن ، وحياتها نفسها بلا قيمة .

ألا فلينظر العربى إلى صورته بصدق وموضوعية ، وليعقد العزم على الإطاحة بكل ما يعرقل مسيرته نحو الحياة السامية .

(٣ / ٥ / ١٩٩١)

الواقع والحلم

عجلة الحوادث من حولنا تدور ، ونحن نتابعها بشغف المتطلع إلى غد أفضل ، لا نريد لها أن تتوقف ، ويجب أن نشارك فيها بكل ما نملك من عقل وإرادة . . وزير خارجية الولايات المتحدة فى نشاط دائب لدفع إجراءات السلام . . المسئولون يبحثون وسائل الأمن فى الخليج . . وتتطاير فى الجو آراء متضاربة .

نتابع ذلك باهتمام ويقظة ، ولكن ما يهمنا أكثر هو ما يحدث فى الداخل ، أو ما نتوقع حدوثه . فموضع أى شىء يُعَدُّ فى الدرجة الثانية بالقياس إلى تنميتنا الشاملة ، أو نهضتنا الحديثة ، أو الحياة التى نشيد أركانها بعقولنا وسواعدنا وأصالتنا وانتمائنا ، من أجل ذلك أجْرِى لاهثًا وراء أخبار صندوق النقد ، ونادى باريس ، وأتَحَرَّى الأخبار عَمَّا يتم بيننا وبين ليبيا فى مجالى التعاون الاقتصادى والثقافى والإعلامى ، وهزنى بعمق ما نُشِرَ عن إعداد مشروع الهيئة العربية للإنتاج الزراعى بين مصر وسوريا وليبيا والسودان .

بالإضافة إلى ذلك قد وعدنا بوثبة إدارية ، ومزيد من الانسجام فى الفكر والعمل دفعًا للإنتاج ، وذلك بإجراء حركة واعية هادفة فى قيادات العمل . إن الشعور العام يوحى بأننا مقبلون على فترة نشيطة وحرجة

معًا، ولكنه ليس الحرج الذى يفضى إلى التردى ، ولكنه الحرج الذى يمر فيه الإنسان من الشدة إلى الفرج ، وذلك بالإرادة والفكر والإبداع ، والنصر الحقيقى الذى يحققه الإنسان على نفسه بقهر سلبياتها ، ومَحْق عوائق السوء التى تتحدى مسيرته .

ولم أعثر حتى الآن على كلمة بخصوص الإصلاح السياسى وتجديد البناء الديمقراطى ، فأرجو ألاّ ننسى أن رسالتنا الأولى فى المنطقة هى طرح نموذج للحياة السياسية يصلح أن يُحْتَذَى كمثالٍ لمن ينشد مثالاً طيبًا للحرية والعدالة الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان .

(٩ / ٥ / ١٩٩١)

من حال إلى حال

سُئِلَ السيد رئيس الجمهورية عن وضع مجلس التعاون بين مصر والعراق والأردن واليمن ، فأجاب بأنه مُجَمَّدٌ الآن ، وقد أوحت الإجابة لى بأن الجمود قد يكون مؤقتًا ، وأنه قد يزول بزوال أسبابه .

وقرأت فى يوم تالٍ عن أخبار تحسُّن محتمل فى العلاقات بيننا وبين اليمن والأردن والسودان .

وسمعت من يعلق على هذا وذاك بامتعاض قائلاً : إننا لا نثبت على حال ، وإننا نتناسى الأخطاء ، بل الخطايا ، لنتلاقى بعد ذلك بالأحضان والقُبَل ، وكأننا لم نُفرغ على وجوهنا جميع ما تموج به قواميس الغضب من سب وقذف وهجاء . ويتساءلون : كيف نصدق بعد ذلك ما يقال ؟ وكيف نميز بين الصواب والخطأ ؟

والرأى عندى أن الحياة السياسية حياة ذات طابع خاص يَتَأَبَّى على الجمود ، ولا يلتزم بالدوام ، لا يوجد فى ساحتها قرار أبَدِيٌّ ، ولكن الدول الرشيدة تنظر دائمًا إلى بعيد ، وتركز على الهدف الأكبر ، وفى سبيل ذلك تحتوى الخلافات إذا زالت أسبابها ، أو تغيرت ملابساتها . دائمًا وأبدًا توجد مصلحة عليا يجب أن تؤثر بالرعاية مهما تكن التضحيات ، ومهما اقتضت من مرونة وضبط للنفس وتجاوز للإساءة .

لم يكن ما بيننا وبين أى دولة عربية بأفظع مما كان بين ألمانيا وفرنسا ، أو فرنسا وإنجلترا ، أو الولايات المتحدة واليابان . وها هم الأوروبيون يخرجون من تاريخهم الدَّامى متوجهين نحو تعاون وثيق ووحدة راسخة .

لنتعلم من السياسة كيف نغضب حين يجب الغضب ، وكيف ننسى حين يتحتم النسيان ، وليس الأمر أمر عواطف وإخوة وأحلام تاريخية ، ولكنه العمل الدائب الواعى لبناء مستقبل أفضل يقوم على التكامل الاقتصادى ، والتوحد الثقافى ، والمشاركة فى العصر ، وتقديس العلم والعمل فى ظل قِيَمٍ سامية ، واحترام شامل لحقوق الإنسان .

فى سبيل ذلك نتقبل أىَّ تغيير ، ونرحب بأى تفكير ، ونصفى أنفسنا من أوشاب التجارب القاسية ، لنتجه إلى المستقبل بقلوب شغوفة بالتقدم وبالمثل العليا .

(١٩٩١ / ٦ / ٦)

للكابوس نهاية

نرجو أن نكون قد اهتدينا حقًّا إلى الطريق الصحيح . نرجو أن نستيقظ من الكابوس لنستقبل صحوة سليمة مبشرة بالخير ، وَاعِدَة بالفَلاَح .

قد كان ـ ومازال ـ كابوسًا ثقيلاً .

سَلْ من تشاء من أفراد الشعب عن أى شيء ، فلن تجد إلاَّ جوابًا واحدًا ، كلما عرض حادث مما يعرض فى أى مجتمع كشف عن داء مُتَأَصِّلٍ أو قيمة منهارة ، يندلع حريق فى عمارة فيفضح سلسلة وقحة من المخالفات تزرى بالقانون ، وتستهين بالأمن والأرواح .

يجرى التحقيق فى قضية فتكشف بعض مستنداتها عن فساد بشع يُطَوِّقُ الأئمة من رجال المسئولية والحكم الذين يتاجرون بمصالح الشعب .

وتجيء حادثة فى مجال التربية فتهتك أساليب للغش غير معقولة فى أشرف بقاع الدولة ، وهى الجامعة .

هذه أمثلة ، أمَّا التقصى فَأَدْهَى وأَمَرُّ .

ماذا جرى لمصر ؟ لم نكن قط بهذا القَدْرِ من السوء ، حقًّا لم نكن قومًا

مثاليين ، ولكننا لم نكن كذلك عُصْبَةً مِنَ الأوغاد ، كيف نواجه عصرًا يُطالب أهله بالكمال فى العلم والعمل والقيم ؟

ما هذه بفطرتنا الأصيلة ، ولكن تعاقب الحروب ، والأزمة الاقتصادية ، والتردد بين التجارب الشرقية والغربية ، وتضافر المِحَنِ على صفوة الأمة الذين ندعوهم بذوى الدخل المحدود ، حَمَّلهم مالا يطيقون ، وانتزعهم من مبادئهم وانتمائهم . إنهم وغيرهم ضحايا الحكم الشمولى الذى يعنى بالمجتمع ويهمل الفرد . الحُكم الشمولى الذى لا يذكر الفرد إلا وهو يطالبه بالتضحية بدون أن يقدم له قُدْوَةً هادية ، على حين يتمتع هو بجميع طيبات الحياة بصورة مستفزة لا ضمير لها .

فى وسط هذه الظلمات نرجو أن نكون قد اهتدينا حقًّا إلى الطريق الصحيح . نرجو أن نستعيد توازننا ولو بعد حين . نرجو أن تسترد مصر صحتها وعافيتها ، وترجع إلى الإيمان بالعلم والعمل والقيم ، وأن تتمسك بوحدتها الوطنية لتواصل دورها فى بناء الحضارة .

(٢٥ / ٧ / ١٩٩١)

الوطن الكبير

الأرض اليوم تموج بالمتناقضات . . يقودها العلم إلى آفاق مذهلة من المعارف ، والإنجازات تتجه بها إلى آفاق من التقدم والاستنارة والقوة ، ما بين باطن الكرة والفضاء ، مرورًا بالإنسان والنبات والجماد . وتتكالب عليها أخطار مروعة ، مثل التلوث ، والجفاف ، والأمراض ، والمخدرات ، والإرهاب ، توشك أن تنهرها من الأعماق ، أو تصيبها بالبلاء . ولكل وطن نصيبه من التقدم والخطر بحسب موقعه من الحضارة، وهو مُطَالَب بالتصدى لمشاكله بشتى الوسائل فى حدود طاقاته ومواهبه .

ولكن عصرنا يتميز بوضع جديد ، هو أنه ينحو نحو التقارب والتوحد ، فأصبحت إيجابياته وسلبياته تسرى فيه كَكُلٍّ واحدٍ غير معترفة بحدود ، إنه عصر التبادل بين الأطراف ، والاندماج فى تجمعات ، وتقاسم الخير والشر ، بل الشر قبل الخير فى كثير من الأحايين ، لم يعد به من أسرار إلا ماندر ، وربما لا يبقى هذا سِرًّا إلا إلى حين ، ثم ينتشر. ونحن فى زمن المعارف العامة ، والتجارة الدولية ، والاقتصاد الدولى ، والحوار الأممى ، تجمعه قيم مثل حقوق الإنسان . ونلتقى فى مؤسسات ومؤتمرات ، وتتحدانا أخطار واحدة تعمق شعورنا بالتوحد وضرورة التعاون الشامل . هيهات أن تحل مشكلة مهما بدت لدى أهلها محلية إلا

من منطلق النظرة الجامعة ، والتعاون الحق ، والانتماء البشرى العام ، وتَخَطِّى حدود الأنانية القديمة التى نمت بين الناس بالحدود التقليدية ، والمصالح الآنية .

غرباء من يعيشون فى هذا العالم بعقول متحجرة ، أو رؤية ذاتية ، أو أهواء عنصرية ، أو ميول تعصبية ، أو أسرى للصغائر والأحقاد العابرة . وحسبنا ما ارتكبنا من أخطاء فى أيام العزلة ، وما سفكنا من دماء غزيرة . . ورَجَاؤنا إلى الله ألاَّ تفلت من أيدينا فرص النجاة ، وألاَّ يتعثر فى ضميرنا الشعور بالواجب الإنسانى .

(٧ / ١١ / ١٩٩١)

تجربة الجزائر

عند الجولة الأولى من الانتخابات الجزائرية طرحت الدولة الجزائرية نفسها مثلاً وقدوة فى الديمقراطية والنزاهة ، فاز الخصم بأغلبية ساحقة ، وأصبح على بُعْد شبر من الأغلبية المطلقة النهائية ، وسقط الحزب الحاكم سقوطًا لا يسمح به عادة إلاّ فى البلاد العربية التى تتمتع بالحضارة والحرية ، وقلنا إنه لَخيْر وبُشْرى لجميع الأوطان العربية المتطلعة للحرية والكرامة الإنسانية . وإذا بنكسة مزلزلة تَنْقَضُّ على الديمقراطية الوليدة فى مهدها ، فتغرق الفرحة فى خيبة وكآبة ، ويعود الاستبداد ليطل بقرنيه ونظراته الوحشية ، وكأنما لم يكفه ما فعل بالبلاد حتى دَفَعَها إلى شفا الإفلاس ، وسفك من دماء أبنائها ماسفك .

وقد كشفت هذه النكسة عن حقيقة غريبة ، وهى أن بعض المستبدين يتجهون نحو الديمقراطية أملاً فى إضفاء شرعية شعبية على استبدادهم ، لا إيمانًا حقيقيًّا بالديمقراطية ، فإذا خذلتهم الديمقراطية كشروا عن أنيابهم وعَصَفُوا بها ، وأزاحوا النقاب عن وجههم القبيح . وما الديمقراطية إلاّ الحوار الصادق ، واحترام الرأى الآخر ، والتسليم برأى الشعب واختياره الحر ، لا ننكر أن الحزب المهزوم يتصور أن فى انتصار خصمه نهاية العالم وخراب الوطن ، ولا ننكر أنه كثيرًا ما يفسر ذلك بجهل الشعب أو سذاجته ، ولكن كل شعب هو أَدْرَى بما يصلح

له ، وأبسط الشعوب تدرى ما يصلح لها ، وما أكثر المستبدين الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على شعوبهم ثم ظهر أنهم هم الذين كانوا فى حاجة إلى الوصاية ، ولعلنا لم ننس بعد هتلر ، وموسولينى ، وإمبراطور اليابان ، على حين أننا لا نذكر مبايعة شعبية حرة خاطئة ، ولنفرض أن شعب الجزائر قد أخطأ ، فلماذا لا نتركه يتحمل مسئولية خطئه ونمنحه الفرصة لتصحيحها ؟

ولو كانت التجربة السابقة للانتخابات ناجحة لوجدنا لمن يريد العودة إليها أو لمثلها شبه عُذر ، ولكنها كانت تجربة فاشلة فاسدة ، متنكرة لحقوق الإنسان وكرامته .

وإذا قُدِّرَ للجزائر أن يحكمها مستبد جديد فقد يبرر سياسته بأسباب كثيرة ، ولكنه لن يزعم أبدًا أنه يمثل الشعب ، بعد أن أعلن الشعب كلمته صريحة عالية .

(١٩٩٢/١/١٦)

أهمية السلام

مؤتمر السلام فرصة متاحة لتغيير وجه الحياة فى شرقنا العربى ، فهو يَعِدُ بحل مشكلات كاد يصيبها الزمان ، ويهيىء الجو لتطور أسرع نحو حياة أفضل للجميع .

وقد ذهب إليه الجانبان ـ العربى والإسرائيلى ـ على هيئة غير محمودة ، وبعيدة عن الكمال المنشود . إسرائيل تبدو متأففة ، وكأنما تُسَاقُ إلى السلام وهى كارهة . . أسدلت قُوَّتُهَا على عينيها ستارًا ، فهى لا ترى إلاَّ ما بين يديها ، ولا تنظر إلى بعيد . والعرب لغة واحدة وقلوب شتى ، لم يتطهروا بعد من مأساة الخليج ، ومازال بعضهم يعيش فى غيابات الماضى ولا يعترف بحركة الزمن . . والحقيقة التى يجب ألاَّ يعتريها الشك هى أن السلام هبة طيبة لمصلحة الطرفين . . ولا أظن أن هذه الحقيقة تغيب عن إسرائيل ، حتى لَيُخَيَّلُ إلىَّ أحيانًا أنها تصطنع النفور منه لتدارى رغبتها الشديدة فيه .

أما الجانب العربى فلا أظنه فى حاجة إلى مَنْ يذكره بأن أى مفاوضات إنما تبحث عن حل وسط ، وأنه لا مفر من المرونة عبر الدفاع عن حقوقهم المشروعة ، وأن المستقبل قد يحمل احتمالات كثيرة يضن بها الحاضر ، ولا يغيبن عنكم أن ذوى الإرادة ربما حققوا فى السلم ما تعجز

أى حرب عن تحقيقه ، ولا تنسوا فى هذا المجال مَثَلَىْ ألمانيـا واليابـان .

والعرب كَكُلٍّ فى حاجة إلى السلام ، لا تقل عن حاجة دول المواجهة إليه . يجب أن تزول العِلَّةُ التى يعتلُّ بها كل طاغية أو متخلف فى المنطقة . نريد شرقًا عربيًّا بلا قضية معلقة تستنفد أمواله ، وتهلك أرواح أبنائه ، وتهب العذر تلو العذر لاستبعاده . نريد شرقًا عربيًّا لا يغطى صوت المعركة على أصوات بنيه فى المطالبة بحقوق الإنسان فى الحُكْم والعِلْمِ والثقافة ، كما نطالب بمستوى الحياة التى تستحق هذا الاسم .

فى عقب السلام لن توجد معركة إلاَّ المعركة بين الطغيان والحرية ، بين التخلف والحضارة .

فى أعقاب السلام تبدأ ملحمة البطولات العربية الحديثة .

(٢٣ / ١ / ١٩٩٢)

طريق العـدل

نحن نرفض الإرهاب وندينه . لا نُبرره لأى سبب من الأسباب . هذا هو موقفنا منه أيًا كان مصدره : جماعات سياسية ، أو دينية ، أو دولاً عربية ، أو غير عربية . وهو كفيل بطرد من يثبت اتهامه به من الجماعة البشرية ، واستحقاقه الجزاء العادل الذى يراه العالم مناسبًا لإزهاق أرواح الأبرياء من النساء والأطفال والرجال .

وكلنا اطَّلَعْنَا على نبأ الاتهام الذى وجهته الولايات المتحدة إلى ليبيا ، ومطالبتها بتسليم اثنين من المواطنين الليبيين لمحاكمتهما بتهمة إسقاط طائرة أمريكية بركابها الأبرياء فى جو « إسكتلندا » .

ومن حق الولايات المتحدة أن تتهم أى فرد أو هيئة إذا وجدت من الأدلة أو الشبهات ما يبرر الاتهام . أما المطالبة بتسليم المتهمين إليها لتحاكمهما فأمر لم نسمع بمثله من قبل ، فالمواطنون فى كل دولة تحدد قوانين بلادهم طُرق محاكمتهم إذا وُجِّهَتْ إليهم تهمة من التهم ، وليس من بين تلك القوانين ما يسمح بتسليمهم إلى دولة أجنبية لتحاكمهم بنفسها .

من أجل ذلك دهشنا لمطالبة الولايات المتحدة بما طالبت به ، كما دهشنا أكثر لإصرارها عليه ، وكما دهشنا أكثر وأكثر لقرار مجلس الأمن

فى ذلك الشأن ، حتى خُيِّلَ إلينا أن هناك تفاصيلَ غائبة عن المُتَابِع للأنباء .

وفى مقابل ذلك نجد موقف ليبيا فى غاية من الوضوح ، والرغبة فى إيجاد حل للمشكلة بعيدًا عن الاستفزاز ، وفى إطار الشرعية الدولية والعدل . إنها لم تُمانع فى المحاكمة ولا فى تسليم المتهمين ، على أن يتم ذلك فى رحاب محققين وقُضاة محايدين ، كيلا يكون الخصم هو الحكم .

وتلك استجابة مرنة جدًّا ، تنم عن رغبة حقيقية فى معرفةِ الحقيقة وتَحَمُّلِ المسئولية ، ولعلها أيضًا لا تخلو من ثقة بالنفس وشعور بالبراءة .

وحتى كتابة هذه السطور نحن لا ندرى عَمَّ سينجلى الموقف ؟ وكل ما نرجوه أن يغلب صوت العقل والعدل ، وأن يتوافق الحل النهائى مع الآمال المُبَشِّرَة بعالم جديد حقًّا ، حتى لا نخسر العدل والأمل معًا .

(٦ / ٢ / ١٩٩٢)

كيف نحافظ على هويتنا ؟

سألنى سائل : كيف نحافظ على هويتنا ؟ وهو سؤال يجىء فى وقته، لأكثر من سبب من هذه الأسباب ، ما يدور فى وطننا من جَدَل حول الأصالة والمعاصرة ، ومنها اتجاه العالم نحو التواصل بشتى الوسائل التى ألغت الزمن والحدود ، مما جعل الفرد ريشة فى مهب رياح من الآراء والمعتقدات والثقافات .

ونحن نُولَد فتنشأ معنا هويتنا ، وتأخذ فى النمو من خلال الأسرة والمدرسة والمجتمع والثقافة ، ولو تخيلنا أنه يمكن أن نقيم بيننا وبين العالم سدًّا لخلصت لنا تلك الهوية فى راحة بال ، ولجَرَى الزمن وخَلَّفَنَا وراءه أثرًا من الآثار هوية منه ، فيها القليل مما يصلح لكل زمن ، والكثير مما تجاوزه الزمن .

ولذلك فإن السؤال الحق ليس هو : « كيف نحافظ على هويتنا ؟ » ولكنه هو : « كيف نُثرى هويتنا ببدائع الزمن بدون أن نفقد من هويتنا الأصلية ما يصلح لكل زمن ؟ وكيف ندمجه فى ذاتنا بحيث يَنْتُج عن الزواج بين الاثنين كلٌّ مُوَحَّدٌ لا تناقض فيه ولا اضطراب ، بحيث يمكن أن نطلق عليه بحق اسم هويتنا الجديدة ؟ » . ولا عيب أن تكون لنا هوية جديدة فى النطاق المشار إليه ، بل لا عيب أن يكون لنا فى كل

عصر هوية تناسبه ، وما العيب إلاَّ أنْ نتخلف عن العصر فنصبح من ذكريات التاريخ التى لا يَهَبُ لها مكانًا إلا فى متاحفه .

وطريق ذلك أن نجعل من التفكير فريضة ، ومن الكسل معصية ، فمن الكَسَلِ أَنْ تبقى على عادة أو تقليد أو فكرة آنَ لها أن تتطور أو تتغير، ومن الكسل أنْ تضن بتفكيرك واختيارك ونقدك لما يعرض لك من آراء ونظريات وسلوكيات قد تجد فيها الخير كل الخير ، أو التقدم كل التقدم ، والحضارة الحقيقية ما هى إلاَّ استيعاب وأَخْذ واختيار وعطاء . ويتم ذلك فى حركة دائمة ، وفى شجاعة فائقة ، وفى لقاء إنسانى شامل، والويل كل الويل لمن يتوقف عن الحركة .

(١١ / ٢ / ١٩٩٢)

الطريق العربى

أرجو أن يتفرغ العرب فى أقرب وقت ممكن لتقرير مصيرهم فى الحياة بما تعنيه من رؤية حديثة فى الفكر والعمل ، يجب أن يعيشوا عصرهم كما يجدر بأمة ذات ماضٍ مجيد . . أُمَّة مصممة على أن يكون مستقبلها مثل ماضيها عزة وتقدمًا ، لذلك يجب أن تنجح أولاً فى تخطى همومنا الراهنة بعد تسويتها بما يضمن لنا التفرغ للقضايا الأهم ، القضايا المصيرية المستقبلية ، ويجب أن يتم ذلك سريعًا ، وبالدرجة التى تهم قومًا يؤرقهم التآخى ، ويشغلهم حقل التقدم والحضارة ، فلا يجوز أن تطول أو تتعقد المشكلة الليبية ، ولا أن يتأخر تاريخ استئناف العراق لمسيرة البناء ، ولا أن تظل مشكلات الحدود معلقة ومثيرة للفتن . قد يعد أناس حل تلك المشكلات هدفًا كبيرًا ، وإنجازًا ـ إذا تم ـ خطيرًا ، على حين أنه فى نظرى ليس إلاَّ تنقيةَ المناخ العربى من الشوائب ، تمهيدًا للتعاون المخطط لخَلْق نهضة شاملة ، ولكن ما أبعاد تلك النهضة الشاملة ؟

هناك بُعْدٌ ثقافى يجب أن يبدأ بإحْدَاثِ ثورة فى التربية والتعليم ، يكون هدفها خلق مواطن يجمع بين قيمه الخالدة وبين التوجه العصرى فى العلم وتطبيقاته ، والتأهب للعمل فى الحياة المعاصرة بكل متطلباتها ، مع تربية العقول تربية حرة تنشد الأصالة والتحرر والاستقلال والإبداع .

وهناك بُعد اقتصادى لتحقيق التكامل بين البلاد العربية من المحيط إلى الخليج ، بهدف تحقيق ثورة زراعية ، وخلق قاعدة صناعية ، والتعايش مع العصر بروحه وأساليبه ، والتعاون مع العالم باعتبارنا أُمَّة كبيرة قادرة على العطاء مقابل ما تأخذ ، وأنه لا يُسْتَغْنَى عنها كعضو نافع فى الأسرة البشرية .

وعن طريق هذين البُعْدَيْنِ يتشكل نوع من الوحدة السياسية التى تُناسب البلاد ، بعيدًا عن أى حساسية ، أو ادِّعاء للزعامة ، أو إثارة للفُرقة والمنافسة .

إنَّ أَىَّ يوم مَرَّ بدون تحقيق جزئية من ذلك الحلم يجب أنْ يُعد مفقودًا من حياة العرب .

(٣٠ / ٤ / ١٩٩٢)

الماضى والحاضر فى عالم متغير

فى يوم الاثنين ٣ / ٨ اطلعتُ فى صُحفنا على عنوانَيْنِ هامين :

الأول : عن أحياء مصر الإسلامية وما تعانيه هياكلها وآثارها من أحوال متردية ، وكيف تحولت إحدى بوابات مجدها التاريخية إلى مقلب قمامة .

والثانى : عن انعقاد مؤتمر ثقافى لبحث الثقافة العربية فى عالم الغد المتغير ، والاتفاق على ميثاق يلتزم به المثقفون ، هكذا اجتمع البكاء على الأطلال مع التطلع إلى المستقبل فى وقت واحد . وبالحق والصدق ، فإننى لم أحْظَ من العنوانين إلاَّ بالكآبة .

لا أدرى كيف أدافع عن أحيائنا الأثرية ، فقد قيل فى ذلك كل ما يمكن أن يُقال . فضلاً عن ذلك فإنى ابنٌ من أبنائها ، نَعِمَ بملاعبها فى ربوعها الطيبة فى زمن كانت تكنس فيه فى النهار الواحد مرتين ، وتُرَشُّ مرتين ، وتنضح جوانبها بعبق الماضى المجيد ، ماذا يحدث لها اليوم ؟ ماذا أصابها فى العصر الذهبى للسياحة ؟ وهل تغنى فى الدفاع عنها لغة المال والاقتصاد ؟ أو حسبنا حنين الذكريات ؟!

أما المؤتمر الثقافى فقد انعقد ، وأُلقيت كلمات طيبة كالعادة ، وأعلن الميثاق ، وانفضَّ السَّامِرُ ، وأُسْدِلَ الستار . أى ثقافة ؟ وأى عالم

متغير؟ . الثقافة هى الثقافة ، هى الإنتاج أولاً وأخيرًا ، والعالم لا يكف عن التغيير ، ولا الثقافة تكف . وأما الميثاق فهل كان ينتج المبدعون ويفكر المفكرون بدون ميثاق وإنْ لم يُعْلَن فى مؤتمر ؟ هل كانوا يَهِيمُونَ فى الضلالة حتى هَلَّ عليهم الميثاق بنوره ؟ وأى قوة تحمل مُبدعًا على الالتزام بغير ما يوحى إليه به ضميره ؟

أفهم أن يجتمع المثقفون لعرض مطالبهم ، وأما أكثر المطالب المعلقة فهى : إعادة النظر فى القوانين الخاصة بحرية الفكر ، وإزالة العقبات المالية والجمركية التى تُعرقل التبادل الثقافى ، وتشديد عقوبة التزوير ، والتبادل الثقافى من خلال المعارض والزيارات ، وإنشاء مؤسسة على مستوى الجامعة العربية للترجمة من وإلى اللغة العربية ، وتقوية ساعات البث الإذاعى والتليفزيونى فى مجال الثقافة ، وإنشاء لجنة دائمة من وزراء الثقافة والإعلام والتربية فى البلاد العربية لموالاة الثقافة بالرعاية والعناية .

وأعتقد أنه توجد مطالب ثقافية أكثر من ذلك ، وهى جديرة بالندوات والمؤتمرات حقًّا .

(١٩٩٢ / ٩ / ١٧)

حركـة مباركـة

الانتخابات الكويتية حَدَثٌ تاريخى كبير ، وهو يكتسب خطورته وأهميته لوقوعه فى المنطقة العربية ، وكأنه ثورة على تقاليدها السياسية . الحديث بكل بساطة أنه جرت انتخابات بين المعارضة وأنصار الحكومة ، ففازت المعارضة فوزًا ساحقًا ، وانهزمت الحكومة هزيمة ساحقة ، واعترف بهذه النتيجة ، وشُكِّلَتِ الوزارة الجديدة على أساسها ، بذلك بدأت الكويت مسيرتها الديمقراطية الجديدة بكل شجاعة وتفاعل مع العصر والعالم الجديد ، ولم تتردد فى الاعتراف بالواقع برغم غلبة التيار الإسلامى عليه ، مقررة أن تمضى إلى مصيرها من خلال واقعها ، وبدون خوف من متطلبات الحياة ، وقد ذكرنى ذلك بأول انتخابات لنا عام ١٩٢٤ ، والتى خاضها الشعب فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وقبل أن يُوجد من بين بَنِيه مَنْ تسول له نفسه تزوير الآراء ، واختلاس الثقة الكاذبة ، وإقامة حُكم على أساس غير قانونى . . تذكرتُ ذلك ، وتذكرتُ كيف أن رئيس الوزراء الذى أجرى تلك الانتخابات قد سقط فيها أمام فرد من الشعب ، وتذكرت ـ والحسرة تملؤنى ـ أننا لم نظفر بعد ذلك بانتخابات حرة إلاَّ لحظات عابرة من حياتنا المملوءة بالطغيان .

وذلك الموقف الكويتى يوجب علينا أن نوجه الشكر والثناء إلى دولة الكويت على سلوكها الحضارى وسبقها إلى تلبية نداء العصر .

ونثنى بكل حرارة على شعب الكويت الذى هرعت أغلبيته الساحقة إلى صناديق الانتخاب معلنة بذلك عن إيجابيتها وانتمائها والتزامها بالواجب الوطنى ، كما نحيى للمُتَظاهِرات من نساء الكويت اللاتى طالبن بحقهن فى التصويت والترشيح . وبعد ، فإننا سنتابع حكومة الكويت ومجلسها النيابى بالثقة والاهتمام ، ونرجو لهما نجاحًا وتعاونًا مثمرًا فى خدمة الكويت والقضايا العربية ، فإن نجاح هذه التجربة يتطلع إليه جميع الأحرار فى العالم العربى .

(٢٣ / ١٠ / ١٩٩٢)

الحرب والشرعية الدولية

الضربة التأديبية الأخيرة للعراق تثير جملة من الأفكار المتضاربة ، ولم يكن الأمر كذلك حيال الحرب الأولى الخاصة بتحرير الكويت . في الحرب الأولى انقسم العرب إلى فريقين ، فريق يدين الغزو ويؤيد قرار مجلس الأمن ، ويتطلع إلى مولد عالم جديد ، وفريق يؤيد القرار العراقي ويستنكر ويتهم قرار مجلس الأمن . اليوم لا يوجد عربيٌ مُسْتَقرًّا في موقفه من الأحداث ، حقًّا إنه ضد الاعتداء على الكويت ، وضد العبث بشروط الهدنة ، ولعله يقر الضربة التأديبية ، ولكن مع تحفظات وتساؤلات . فمجلس الأمن لا يحافظ على كرامة قراراته الدولية بقوة واحدة ، ولا بحزم واحد ، وقد استهانت بقراراته ثلاث دول في وقت واحد تقريبًا ، فَعَامَلَ الصِّرْبَ وإسرائيل باللطف ، ولم يتجاوز معهما العتاب ، ولكنه مع العراق كان مثلاً من أمثلة الحَزم ، والعمل في ناحية الحفاظ على الشرعية الدولية ، وفي الأخرى موقف يذكرنا بالعالم القديم وسياساته القائمة على المصالح والتآمر . لا نريد أن تتلاشى آمالنا في انتظار العام الجديد . لا نريد أن يتبدد حلم الشرعية الدولية بعد أن أفعم ملايين القلوب بالتفاؤل .

وثمة اختبارات أمام الشرعية الدولية ، يتوقف بقاؤها على النجاح في حلها ، هي :

١ ـ المُبْعَدُونَ الفلسطينيون .

٢ ـ البوسنة .

٣ ـ تطهير العالم من أسلحة الدمار الشامل بدون استثناء أو تهاون .

وعلى أى حال سندرك حقيقة نوايا مجلس الأمن ، سواء وافقناه عليها أم لم نوافقه .

أما اللغز الذى سيبقى مستعصيًا على الفهم فهو « صدام حسين » ، لقد حَارَ الناس فى فهم تصرفاته ، وذهب بهم الظن كل مذهب . والحق أن مرجع تلك الحيرة يقوم على فرض أنه حاكم وطن ، وأنه يحوز على الأقل الحد الأدنى من قُدرة الحاكم وخبرته . ولكنى لم أعد أؤمن بذلك ، فصدام حسين ومَنْ هم على شاكلته قد يملكون المهارة للاستيلاء على السلطة إذا ملكوا القوة اللازمة ، ويتربعون على كرسى السلطان بلا مؤهلات حقيقية تؤهلهم للعمل وحَمْل الأمانة ، من أجل ذلك تصدر منهم ألوان من السلوك غير المعقول الذى لا يصدر إلاّ عن الحمقى والمجانين . ويحار الناس فى التفسير لأنهم يتصورون فيهم الحنكة والحكمة ، وما هى فى الحقيقة إلاّ أفعال منحرفة تدفعها حسابات خاطئة ، تصدر عن عقلٍ أجوف ومستبد .

(١٩ / ١ / ١٩٩٣)

مصر والسودان

إنى من جيل اعْتَبَر مصر والسودان وطنًا واحِدًا ، فمصر هى السودان الشمالى ، والسودان هو مصر الجنوبية . وكلمتا مصر والسودان استقرتا فى وجدانى ككلمة أو كلمتين متكاملتين ، كما نقول الليل والنهار ، أو خطوط الطول والعرض . من أجل ذلك جاء الخلاف على الحدود صدمة واحدة قاسية ، ثم كانت شكوى السودان إلى مجلس الأمن أقسى وأفظع .

ولعل أول سؤال طرأ على ذهنى هو : « كيف لم تختم المفاوضات بين الشقيقتين بالتوفيق ؟ » . أما السؤال الثانى فهو :« إذا خان التوفيق الشقيقتين فأين الجامعة العربية ؟ » أليس المعقول أن تكون الجامعة أول من يحتكم إليها أعضاؤها ؟ . على الأستاذ أمين الجامعة أن يدرس تلك الحال بما عُرِفَ عنه من مقدرة وحُب للعرب والعروبة . نحن نأمل دائمًا أن يكون للجامعة وزن فى نظر العالمين ، ولكن لابد أن يكون لها أضعاف ذلك الوزن فى نظر أبنائها . ولعل ذلك يجعلنا نفكر من جديد فى إنشاء محكمة عدل عربية ليكون لها الرأى الفاصل فيما ينشب من خلاف بين دولتين عربيتين أو أكثر .

نحن اليوم نواجه عالمًا جديدًا ، ومن أتعس الفروض أن نواجهه كدول

منفصلة ، أو ـ وهو الأَدْهَى والأَمَرُّ ـ كدول متنازعة بسبب الحدود أو غيرها. وأعتقد أنَّ ما نتفق فيه من تعاون اقتصادى وثقافى وسياسى أهم وأكثر مما نختلف بشأنه ، فلماذا لا نعتمد على ما نتفق فيهْ ، ونؤجل الخلافات لتبادل الرأى بين الإخوة وللزمن ؟

وفى كلمة أخيرة : إنَّ التاريخ لن يغفر لأى مواطن ـ من مواطنى مصر والسودان ـ بوسعه أن يصلح بين الطرفين ويتهاون فى ذلك .

(٢٦ / ١ / ١٩٩٣)

العرب فى عالم الغـد

عالم جديد يتشكل ساعة بعد أخرى ، وقد يُسفر فى الغد القريب عن تكتلات اقتصادية عملاقة ، كما يحدث بين الأمم الأوربية ، وكما يحدث بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك . وقد تنشأ تكتلات جديدة ، بل حتى الأمم التى تنزع اليوم نحو التحرر والانفصال قد ترى من الحكمة فى القريب العاجل أن تعود إلى تكتلاتها بأسلوب جديد ، أو تنضم إلى تكتل من التكتلات القائمة إذا ما وجدت ذلك محققًا لمصلحتها على وجه أفضل .

أعتقد أن ذلك لا يغيب عن الفكر العربى ، ولا يغيب عن الجامعة العربية . وثمة صورتان يمكن تخيلهما لحياة الأمم العربية :

الأولى ـ وهى الحلم ـ أن تترابط جميع الأوطان العربية فى تكامل اقتصادى كبير يجعل منها وحدة اقتصادية ذات شأن ، ويكون ذلك أساسًا لنهضة تعاونية فى الثقافة والبحث العلمى ، وإيذانًا بدخول العروبة العصر الحديث ، حاملة كافة مؤهلاته التى تقوم أساسًا على الاقتصاد والعلم ، بالإضافة إلى القيم السامية التى تستمدها من تراثها المجيد .

هذه هى الصورة التى يجب أن نعمل على تحقيقها دفاعًا عن وجودنا

وحياتنا وكرامتنا ، والتى يجب أن نزيل من سبيلها جميع المعوقات والسلبيات التى تؤخر تحققها أو تؤجله .

الثانية ـ أعنى الصورة الثانية ـ الواقع المؤسف الذى يقوم على التمزق والخلافات ومرارة الذكريات المؤلمة . إنها صورة شديدة الانفعال ، وانفعالاتها تدعو للخصومة والنفور والتمزق .

ومصيرنا سيتقرر نتيجة للصراع بين العقل وما ينادى به ، والانفعال وما يدعو إليه .

وقد يكون من الحكمة أن نبدأ التعاون والتكامل بين الأوطان التى لا يوجد تناقض بينها ، أو التى تستطيع أن تمحق تناقضاتها وتحل مشاكلها وتتناسى ذكرياتها المرة .

يجب أن نبدأ ولو بوطنين أو ثلاثة أو أربعة . إن نجاح التعاون بينها سيكون داعيًا للآخرين للانضمام والاقتناع بصوت العقل وحكمته .

(١٩ / ٣ / ١٩٩٣)

مراجعة شاملة

يندر أن تجد قلبًا مطمئنًا هذه الأيام . يندر أن تجد شخصًا راضيًا عن يومه ومؤملاً خيرًا فى غده ، وقد صدمنا الإرهاب ولا شك ، ولكنه ليس مشكلتنا الوحيدة . وهناك رغبة صادقة فى إعادة النظر فى كل شىء ، وهى ناشئة عن إحساس بأن أشياء كثيرة قد تجاوزها الزمن وأفرغها من أى مضمون . . نعم ليس الإرهاب بمشكلتنا الوحيدة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : مازال الخلاف قائمًا حول الإصلاح السياسى ، والإصلاح الاقتصادى ، ومازال كثيرون يفسرون تعثر الإصلاح الاقتصادى بنقص فى الجوانب السياسية .

هل نستطيع أن نحرر الاقتصاد بأيدٍ تربت ونمت وأزهرت فى الشمولية؟ . ونطالب بالاستثمار وتشجيعه فى الوقت الذى ترتفع فيه الشكوى من عراقيل مازالت قائمة فى سبيل الاستثمار ، بالإضافة إلى أن دستورنا وُضِعَ لزمنٍ مَضَى ، أمَّا زماننا الحاضر فلا دستور له .

وعالمنا الخارجى لم يعدْ بالصفاء الذى كانه . . الوفاق العربى يحتاج إلى ترميم طويل أو إعادة بناء . وما حصل من توتر فى العلاقات بين مصر والسودان ، وبين مصر وإيران يحتاج إلى حكمة ثاقبة ومساعٍ حميدة .

نحن فى حاجة إلى إعادة نظر فى كل شىء : إلى قراءة الواقع قراءة صحيحة . . إلى مواجهة الحقائق بشجاعة . . إلى بناء سفينة تصلح لمواجهة أى طوفان .

وثمة بوادر تدعو للأمل ، فأقلام رصينة تحبذ التغيير ، وأخرى تتحدث عن ائتلاف ، وثالثة عن حوار ووساطة رشيدة . . هذه بشائر تسر ، نرجو لها التوفيق ، وأن تتسع لتشمل كل شىء ، وأن تفسح المجال أمام المخلصين من أبناء هذه الأمة ليبدءوا نهضة حقيقية تجمع بين أسْمَى المبادىء الخالدة ، وأحدث أساليب العصر .

(١٩٩٣ / ٤ / ٢٩)

ثمن السلام

عندما يرد ذكر منطقتنا العربية على مستوى العالم يرد فى حالة من الأحكام المتناقضة ، فهى منطقة من العالم الثالث ، متأخرة حقًّا ، ولكنها مستودع لثروات ضخمة ، وتجمع شعوبها بين قومية واحدة ، وخلافات كثيرة تثير من العداوة مالا يكون إلاّ بين القوميات المتناحرة . وهى تاريخ يجمع فى غضونه بين أكبر فلسفات السلام والإخاء البشرى وبين سعيه الحثيث ليكون اليوم مخزنًا للرءوس النووية والمبيدات البيولوجية . وبرغم أن نسبة الأمية بها تُعَد من أكبر النسب عالميًّا فهى فى مقدمة مناطق العالم إنفاقًا على التسلح واقتناء أجهزة الهلاك .

لذلك لم يكن غريبًا أن تكون منطقتنا أول هدف استكشافى لوزير خارجية الولايات المتحدة ، وأن يُقال عن رحلته إنها كانت من أجل السلام واستطلاع مواقف الأطراف المتنازعة منه ، وبحث قضية المُبْعَدِين باعتبارها أكبر عائق يعترض مجرى المفاوضات اليوم .

وإنه لمن حُسْنِ الطالع أن تواصل الإدارة الأمريكية اهتمامها بقضية السلام برغم تركيزها المُعْلَن عن الشئون الداخلية ، أمّا من ناحيتنا فالسلام يجب أن يكون فى مقدمة اهتماماتنا الخارجية ، ولن يقل عن ذلك بالنسبة لاهتماماتنا الداخلية ، فهو ضرورة للتنمية التى هى شغلنا

الشاغل ، ولا يختلف الأمر بالنسبة لتنمية المنطقة ككل . يجب أن نتفرغ للتنمية الإقليمية ، وتسوية الخلافات العربية ، والاندفاع فى تحقيق التكامل الاقتصاد الذى يمثل التنمية الشاملة للمنطقة كلها .

لذلك نرجو أن يوجد الحل المناسب لقضية المُبْعَدِين الذى يرضيهم بصفة خاصة ، ويرضى العرب بصفة عامة . يجب أن يوجد هذا الحل لنبدأ مفاوضات السلام فى أقرب فرصة . السلام ضرورة لا بديل لها ولا تأجيل . وقوانين الحياة لا ترحم المترددين .

(١٢١/ ٥ /١٩٩٣)

ما يليق وما لا يليق

ماذا تقول فى أمة تملك جميع وسائل نشر النور ، فى حين تتخبط أغلبيتها فى الظلام ؟ أول ما يتبادر إلى الذهن أنها تسىء أو تهمل استعمال وسائل النشر ، أو على أبسط الفروض أنها تجهل الكيفية المُثْلَى للتعامل معها . وقد تسىء الظن فترمى المسئولين عن تلك الوسائل بالجهل ، وربما زادت فرصتهم بسوء النية ، وقد تغالى فلا تعفيهم من التآمر .

وإلاَّ فعليك أن تفسر لى كيف نملك ذلك العدد الوفير من المدارس والمعاهد ، والجامعات ، والمساجد ، والكنائس ، والصحف ، والمجلات ، وقصور الثقافة ، والمكتبات ، كيف نملك ذلك كله ويخلو ضمير واحد من ماء الإيمان الصافى النقى ؟ أو يخلو عقل من نور العلم والتفكير ؟ أو يخلو ذوقٌ من الإحساس بالجمال فى أروع أشكاله وأنواعه ؟ بل فسر لى كيف نملك ذلك الثراء كله فى وسائل التربية والتعليم والتهذيب ، ويشيع فى أغلبيتنا الخرافات والترهات والجهل ، والانحراف والعكوف على السفاسف والأكاذيب ؟ !

لا أخوض فى التفاصيل والشواهد ، فقد سمعت ولا شك عن الكثير منها ، وقرأت بعض مضحكاتها ، ونَوَّهَ الرُّوَاةُ ببعض غرائبها . لن أخوض فى ذلك ، ولكنى سألخص موقفنا الذى يدعو للأسف فى

كلمات، وهى : أننا نمر بفترة عسيرة ، حتى لتبدو أرواحنا مهددة بالكدر ، وعقولنا غارقة فى العتمة ، وأذواقنا مخدرة بالبَلَادة .

إن ذلك غير جائز ولا لائق ونحن نملك ذلك الكم الوفير من وسائل نشر النور .

(٩/ ٩ / ١٩٩٣)

نحو حياة جديدة

لا مغالاة فى التفاؤل لمن يصدق اليوم أننا مقبلون على دخول مرحلة السلام الشامل العادل ، وهى مرحلة طالما تاق إليها كثيرون من أهل هذه المنطقة ، كثيرون ممن أدركوا أبعاد المأساة التى تخبطت فيها ، وهالهم ما عاناه أهلها من تضحيات مادية وأدبية وحضارية بذلوها وهم يشقون مَسِيرَةً عسيرة فى سبيل عقيم .

اليوم يعلو صوت العقل ، وتحترم مقتضيات الواقع ، فيتم الاعتراف المتبادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وتتوالى الدفعات نحو تحقيق السلام الحقيقى .

ولا أقول إن ذلك سيلقى موافقة كاملة أو رضاً شاملاً ، فإن تَنَاحُرَ ما يقرب من نصف قرنٍ من الزمان لا يمكن أن ينتهى بمثل تلك النهاية السعيدة .

فى الجانبين العربى والإسرائيلى خليط من المعتدلين والمتطرفين ، واليمينيين واليساريين ، فلا مفر من الاختلاف ، ولا مهرب من التناقض ، ولكن المهم أن ترضى الأغلبية وتوافق ، والبقيةُ تُتْرَكُ للزمن ، فهو الكفيل بالكشف عن حسنات الاتفاق ومميزاته ، مما قد يقنع المخالفين ويجذبهم إلى صفه . وإنى أعتبر الزمن هو المفاوض الأخير

الذى سيقول الكلمة التاريخية الفاصلة . ويجب أن يكون مفهومًا أن السلام الحقيقى يبدأ مع المعاملة ، كما يتمثل فى حوار الحضارتين ولقاء الثقافتين ، والتعاون الاقتصادى والعلمى ، وقد يهيىء ذلك للمنطقة من النمو والتقدم ما هى جديرة به .

وعلى جميع الدول العربية ـ مهما تكن مواقفها من الاتفاقات الجديدة ـ أن تعيد النظر فى حياتها بنفس العقل والواقعية ، وأن تجدد سياستها على ضوء متطلبات المنطقة الجديدة ، ومبادىء العالم الجديد .

(١٤ / ١٠ / ١٩٩٣)

عالمية الأدب العربى

يتساءلون كثيرًا عن عالمية الأدب العربى . عن طريقه إليها وحظه منها ، وعلاقة ذلك بجائزة نوبل .

وعالمية الأدب تعنى بكل بساطة أن يتجاوز حدود لغته ، وأن يحظَى بالقراءة والتغيير الجاد خارج حدود وطنه ، فيجد من المعجبين فى شتى الأوطان مثلما يجد فى وطنه . والعالمية بهذا المعنى هدفٌ سامٍ لكل أدب ، وهو لا يبلغها حتى يحقق قدرًا محترمًا من العمق والشمول والإنسانية ، مع المحافظة الصادقة على أصالته ورؤيته الذاتية ، وهذه معادلة صعبة ، ولكنها تتحقق كل يوم مع كل أدب عالمى ، ويُيسر أمرها فى النهاية وحدة الطبيعة البشرية واتفاقها فى المبدإ والمصير ، وتقاربها فى الآمال والأحلام والآلام .

وليس لتلك علاقة حتمية بأى جائزة ، فقد تشهد جائزةٌ لكاتبٍ بالعالمية ، ولكن العشرات والمئات يظفرون بالعالمية دون جائزة نوبل ، حتى أحيانًا مع رفض الجائزة لبعضهم ، لعدم انطباق شروطها عليهم ، ولكن تظل العالمية فى حاجة إلى من يستكشفها بالترجمة الصحيحة والدعاية المشروعة للفت نظر النقاد والقراء إليها . وأغلبية الكُتَّابِ العالميين عرفوا العالمية عن هذه السبيل ، والقِلَّة منهم التى عرفوها عن

طريق الجائزة ، وحتى فى تلك الحال فالجائزة ليست إلا شهادة أولى ، أما الاختبار النهائى فيتقرر بين الكاتب وجمهور القراء المثقفين فى العالم .

والأدب العربى لا ينقصه العالمية ، ولكن يعوزه النشاط المصاحب لها ، وأنا لا أشك فى أن عددًا لا بأس به من الشعراء والكُتَّاب العرب يستحقون العالمية ـ ونوبل ضمنًا ـ وأنهم ينتظرون الفرصة المواتية .

(٢٨ / ١٠ / ١٩٩٣)

من الفدائية إلى العقلية

تمر النهضة العربية الحديثة بمرحلتين ، مرحلة التحرير ومرحلة البناء، والمرحلتان متداخلتان غير منفصلتين ، فقد بدأ البناء فى مرحلة التحرير، كما أن مرحلة البناء لا تخلو من رواسب من مرحلة التحرير لم تتم تصفيتها . ونلقى شيئًا من الضوء فنقول : إن فترة التحرير تشمل التحرير من الاستعمار والاستعباد الداخلى ، والأفكار والتقاليد التى تجاوزَها الزمن .

وفترة البناء تشمل الإبداع الحضارى فى شتى ألوانه ، من صناعة وزراعة وعلم وثقافة ، وبصفة عامة أثبت العربى أنه على المستوى المطلوب لإنجاز المهمة الأولى . قام بثورات كثيرة سياسية واجتماعية وفكرية ، وقدم الشهداء والضحايا بغير حساب ، وتحَمَّلَ القهر والعسف ، وصار الفدائى العربى عنوانًا لتلك المرحلة البطولية ، وتجسدت فيه التضحية بأجلى معانيها ، وحَمَلَ لواء تلك الصفة النبيلة آلافُ الشبان وعشراتُ القادة والزعماء ، فكانت مرحلة التحرير بمعناه الشامل ، كما كانت مرحلة الفدائى بمعناه السامى .

ولكن مرحلة البناء تتطلب نوعية أخرى من البشر ، وربما استقت من الفدائية روحها المُضَحِيَّة أبدًا فى سبيل القيم السامية ، ولكنها تبنى

أساسًا على معاهد التعليم السليم ، ومن الاجتهاد والمثابرة والصبر ، وفى رحاب عشق الحقيقة ، والشغف بالكشف عن المجهول ، إلى نوعية العلم والبحث العلمى ، وتقديس الإنتاج والعمل .

اليوم يجب أن يحتل العربى المفكر الباحث المنتج مكان العربى الفدائى الذى يقوم بعملية التحرير وتمهيد الطريق .

إنه زمن العقل ، وسبحان الذى كَرَّمَنَا بالعقل ومَيَّزَنَا به .

(٢٣ / ١٢ / ١٩٩٣)

ولادة عسيرة !

سَلْ أيَّ عربى : أيهما خير للعرب : أن يختلفوا لأسبابٍ بسيطة أو معقدة ، أم أن تزول من بينهم جميع أسباب الخلاف ؟ .

سل أى عربى : أيهما أفضل للعرب : أن يُواجهوا العالم متفرقين مُتنازعين ، أم يواجهوه كُتلة متوافقة على الأقل فى الدوافع والأهداف ؟ .

سل أى عربى : أيهما أنفع للعرب : أن يُنَمُّوا بلادهم ، كُلٌّ باجتهاده وسعيه ، أم ينمُّوها باستثمار فوائض أموالهم فى تكاملهم الاقتصادى ؟ .

لا أعتقد أنك ستلقى إجابة واحدة سالبة .

سَلْهُ بعد ذلك : لماذا لا يتحقق ذلك برغم غزارة دواعيه المعاصرة والتاريخية ؟ سوف يحدثك عن الحدود ، وبعض الرواسب التاريخية ، وذكريات الغزو العدوانى الأليمة . ونحن لا نتجاهل الطبيعة البشرية ونستطيع أن نجد لِكُل عِلَّة عذرًا ، ولا نريد أن نبالغ فى المثالية ونشدان الكمال ، ولكننا نطالب بالاستماع إلى صوت العقل ، كما نستمع إلى نداء الغريزة . يجب أن نعترف بأننا فى حاجة إلى جرعات من الموضوعية الصادقة .

يجب أن نراجع أنفسنا مرات ومرات . يجب أن نرفع مستقبلنا فوق

دوامة الخلافات والأحقاد ، وأن نؤمن تمامًا بأنه لا حياة لنا بدون التكتل والتعاون ، التكتل والتعاون الاقتصادى والعلمى والثقافى قبل السياسى، لا لقلة أهمية الجانب السياسى ، ولكن ليكون البدء بما يمكن أن نتفق فيه بدون مشقة. وحتى إذا لم يمكن البدء بالتعاون الشامل ، فلنبدأ بالتعاون الممكن فى حدوده المتاحة .

على أى حال يجب أن نبدأ . . ولعل واجب الجامعة العربية الأول فى هذه الفترة التاريخية هو العمل على حل المشكلات وإزالة أسباب الخلاف لإفساح المجال للتكتل المنشود . . يجب أن تكون الجامعة هى السبيل إلى التجمع الحق .

(١٩ / ٥ / ١٩٩٤)

أعمال الكاتب

أعماله بالعربية :

ـ الروايـــة :

١ ـ عبث الأقدار	١٩٣٩ .
٢ ـ رادوبيس	١٩٤٣ .
٣ ـ كفاح طيبة	١٩٤٤ .
٤ ـ القاهرة الجديدة	١٩٤٥ .
٥ ـ خان الخليلى	١٩٤٦ .
٦ ـ زقاق المدق	١٩٤٧ .
٧ ـ السراب	١٩٤٨ .
٨ ـ بداية ونهاية	١٩٤٩ .
٩ ـ بين القصرين	١٩٥٦ .
١٠ ـ قصر الشوق	١٩٥٧ .
١١ ـ السكرية	١٩٥٧ .
١٢ ـ أولاد حارتنا	١٩٦٠ .

١٣ ـ اللص والكلاب ١٩٦١ .

١٤ ـ السمان والخريف ١٩٦٢ .

١٥ ـ الطريق ١٩٦٤ .

١٦ ـ الشحاذ ١٩٦٥ .

١٧ ـ ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦ .

١٨ ـ ميرامار ١٩٦٧ .

١٩ ـ المرايا ١٩٧٢ .

٢٠ ـ الحب تحت المطر ١٩٧٣ .

٢١ ـ الكرنك ١٩٧٤ .

٢٢ ـ حكايات حارتنا ١٩٧٥ .

٢٣ ـ قلب الليل ١٩٧٥ .

٢٤ ـ حضرة المحترم ١٩٧٥ .

٢٥ ـ ملحمة الحرافيش ١٩٧٧ .

٢٦ ـ عصر الحب ١٩٨٠ .

٢٧ ـ أفراح القبة ١٩٨١ .

٢٨ ـ ليالى ألف ليلة ١٩٨٢ .

٢٩ ـ الباقى من الزمن ساعة ١٩٨٢ .

٣٠ ـ رحلة ابن فطوطة ١٩٨٣ .

٣١ ـ العائش فى الحقيقة ١٩٨٥ .

٣٢ ـ يوم قتل الزعيم ١٩٨٥ .

٣٣ ـ حديث الصباح والمساء ١٩٨٧ .

٣٤ ـ قشتمر ١٩٨٨ .

القصص القصيرة :

٣٥ ـ همس الجنون ١٩٣٨ .

٣٦ ـ دنيا الله ١٩٦٣ .

٣٧ ـ بيت سيئ السمعة ١٩٦٥ .

٣٨ ـ خمارة القط الأسود ١٩٦٩ .

٣٩ ـ تحت المظلة ١٩٦٩ .

٤٠ ـ حكاية بلا بداية ولا نهاية ١٩٧١ .

٤١ ـ شهر العسل ١٩٧١ .

٤٢ ـ الجريمة ١٩٧٣ .

٤٣ ـ الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩ .

٤٤ ـ الشيطان يعظ ١٩٧٩ .

٤٥ ـ رأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢ .

٤٦ ـ التنظيم السرى ١٩٨٤ .

٤٧ ـ صباح الورد ١٩٨٧ .

٤٨ ـ الفجر الكاذب ١٩٨٩ .

٤٩ ـ القرار الأخير

الترجمات والحوارات :

٥٠ ـ مصر القديمة ١٩٣٢ .

٥١ ـ أمام العرش ١٩٨٣ .

(سيرة ذاتية) :

كتب للأطفال

٥٢ ـ أصداء السيرة الذاتية ١٩٩٥ .

٥٣ ـ عجائب الأقدار

المقالات :

٥٤ ـ حول الدين والديمقراطية .

٥٥ ـ حول الشباب والحرية .

٥٦ ـ حول الثقافة والتعليم .

٥٧ ـ حول التدين والتطرف .

٥٨ ـ حول العدل والعدالة .

٥٩ ـ حول التحرر والتقدم .

٦٠ ـ حول العلم والعمل .

٦١ ـ حول العرب والعروبة .

* وتنوى الدار المصرية اللبنانية ـ بإذن الله ـ مواصلة نشر مقالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونُشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر .

المسرحيات :

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، خمس منها فى مجموعة «تحت المظلة » وهى :

٦٢ ـ يميت ويُحْيى .

٦٣ ـ التركة .

٦٤ ـ النجاة .

٦٥ ـ مشروع للمناقشة .

٦٦ ـ المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة « الشيطان يعظ » هما :

٦٧ ـ الجبل .

٦٨ ـ الشيطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحوّلها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبد الحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة » .

الروايات والقصص التى أعدت للمسرح :

١ ـ زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .

٢ ـ بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .

بداية ونهاية : إعداد أحمد عبد المعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .

بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الغفار عودة ١٩٨٦ .

٣ ـ بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .

٤ ـ قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .

٥ ـ اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .

٦ ـ الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .

٧ ـ خان الخليلى : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٨٦٣ .

٨ ـ روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

٩ـ ميرامار : إعداد نجيب سرور وإخراجه ١٩٦٩ .

١٠ ـ القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى وإخراجه ١٩٨٩ .

١١ ـ حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى، وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩.

السيناريوهات :

١ ـ المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .

٢ ـ عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .

٣ ـ لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .

٤ ـ ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .

٥ـ الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .

٦ـ جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .

٧ ـ فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .

٨ ـ شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .

٩ ـ درب المهابيل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .

١٠ ـ النمرود : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .

١١ ـ الفتوة : إخراج صلاح أبوسيف ١٩٥٧ .

١٢ ـ الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .

١٣ ـ الهاربة : إخراج حسن رمزى ١٩٥٨ .

١٤ ـ أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .

١٥ ـ إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .

١٦ ـ بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .

١٧ ـ جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٥٩ .

١٨ ـ الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٦٣ .

١٩ ـ ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .

٢٠ ـ الاختيار : إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .

٢١ ـ دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .

٢٢ ـ ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

٢٤ ـ المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .

٢٥ ـ وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

١ ـ بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .

٢ ـ زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .

٣ ـ اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .

٤ ـ بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .

٥ ـ الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .

٦ ـ خان الخليلى : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .

٧ ـ القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .

٨ ـ قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .

٩ ـ السمان والخريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .

١٠ ـ ميرامار : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .

١١ ـ السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .

١٢ ـ ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .

١٣ ـ صور ممنوعة : إخراج مدكور ثابت ، (من خمارة القط الأسود) ١٩٧٢ .

١٤ ـ السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .

١٥ ـ الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

١٦ ـ أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، (من المرايا) ١٩٧٤ .

١٧ ـ الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .

١٨ ـ الحب تحت المطر : إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .

١٩ ـ الشريدة : إخراج أشرف فهمى ، (من همس الجنون) ١٩٨٠ .

٢٠ ـ فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، (من حكايات حارتنا) ١٩٨١ .

المقاهى .. فى حياته :

١ ـ مقهى عرابى بالعباسية .

٢ ـ مقهى قشتمر بشارع الجيش .

٣ ـ مقهى الفيشاوى بالحسين .

٤ ـ مقهى زقاق المدق .

٥ ـ مقهى الفردوس .

٦ ـ مقهى ركسى .

٧ ـ مقهى لونابارك .

٨ ـ مقهى أحمد عبده بالحسين .

٩ ـ مقهى على بابا بالتحرير .

١٠ ـ مقهى ريش بالتحرير .

١١ ـ كازينو قصر النيل .

١٢ ـ كازينو كليوباترا .

١٣ ـ مقهى ديليسبس بالإسكندرية .

١٤ ـ كازينو بترو بسيدى بشر .

١٥ ـ كازينو ميرامار بالإسكندرية .

١٦ ـ كازينو سان استيفانو .

كتبه .. مترجمة إلى اللغات الأخرى

١ ـ همس الجنون	ق . المنصور	بيروت	١٩٦٠ .
٢ ـ الزعبلاوى	صفية ربيع	جامعة القاهرة	١٩٦٢ .
٣ ـ دنيا الله	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٤ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	جامعة ميتشجان	١٩٦٦ .
٥ ـ الزعبلاوى	نسيم رجوان	دورية بريطانية	١٩٦٧ .
٦ ـ الزعبلاوى	دنيس جونسون	جامعة أكسفورد	١٩٦٧ .
٧ ـ قصص قصيرة	محمود المنزلاوى	جامعة الإسكندرية	١٩٦٨ .
٨ ـ دنيا الله	محمود المنزلاوى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٨ .
٩ ـ دنيا الله	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٣ .
١٠ ـ القصص القصيرة	جوزيف أولين	جامعة بيروت	١٩٧٣ .
١١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	لندن	١٩٧٥ .
١٢ ـ تحت المظلة	دينيس جونسون	لندن	١٩٧٦ .
١٣ ـ المرايا	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٧ .
١٤ ـ خمارة القط الأسود	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٧ .
١٥ ـ ميرامار	فاطمة مرسى	لندن	١٩٧٨ .

١٦ ـ اللص والكلاب	تريفور لوجاسيك	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٧ ـ أفراح القبة	أوليف كينسى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٨ ـ السمان والخريف	روجر السن	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
١٩ ـ بداية ونهاية	رمسيس عوض	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
٢٠ ـ الشحات	كريستين وكرهنرى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٦ .
٢١ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	لندن ونيو يورك	١٩٨٦ .
٢٢ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٣ ـ الطريق	محمد إسلام	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٤ ـ اللص والكلاب	عادل إلياس	جدة	١٩٨٧ .
٢٥ ـ حكايات حارتنا	سعاد صبحى	واشنطن	١٩٨٨ .

كتب عربية .. عن حياته وأعماله

١ ـ قضيته الشكل الفنى	د . نبيل راغب	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٦٧ .
٢ ـ المنتمى	د . غالى شكرى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٧ .
٣ ـ تأملات فى عالم محفوظ	محمود أمين العالم	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٠ .
٤ ـ مع نجيب محفوظ	أحمد محمد عطية	دمشق	١٩٧١ .
٥ ـ الإسلامية فى أدب محفوظ	د . محمد حسن عبدالله	الكويت	١٩٧٢ .
٦ ـ الله فى رحلة محفوظ	جورج طرابيشى	بيروت	١٩٧٣ .
٧ ـ قراءة الرواية فى عالم محفوظ	د . محمود الربيعى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٤ .
٨ ـ دراسة فى أدب محفوظ	د . رجاء عيد		١٩٧٤ .
٩ ـ محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٧٥ .
١٠ ـ الرؤية والأداة	د . عبد المحسن طه بدر	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٨ .
١١ ـ العالم الروائى عند محفوظ	إبراهيم فتحى	دار الفكر المعاصر (القاهرة)	١٩٧٨ .
١٢ ـ نجيب محفوظ	د . على شلش	بيروت	١٩٧٩ .
١٣ ـ الروائيون الثلاثة	يوسف الشارونى	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٠ .
١٤ ـ ثلاثية نجيب محفوظ	جاك جومييه	بيروت	١٩٨٠ .
١٥ ـ الرمزية فى أدب محفوظ	د . فاطمة الزهراء سعيد	بيروت	١٩٨١ .
١٦ ـ دنيا نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٢ .
١٧ ـ قصة الأجيال	د . ناجى نجيب	المكتبة الثقافية (القاهرة)	١٩٨٢ .
١٨ ـ أدب نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	عكا	١٩٨٢ .
١٩ ـ بناء الرواية	د سيزا قاسم	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٤ .
٢٠ ـ محفوظ حياته وأعماله	نبيل فرج	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٦ .
٢١ ـ محفوظ يتذكر	جمال الغيطانى	أخبار اليوم (القاهرة)	١٩٨٧ .
٢٢ ـ الفن القصصى	يوسف نوفل	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٨ .
٢٣ ـ عالم نجيب محفوظ	د . رشيد العنانى	الهلال (القاهرة)	١٩٨٨ .

كتب .. تضمنت فصولاً عنه

لطه حسين ـ عباس خضر ـ فؤاد دوارة ـ على الراعى ـ جلال العشرى ـ رشاد رشدى ـ يوسف الشارونى ـ غالى شكرى ـ صلاح عبد الصبور ـ لويس عوض ـ شكرى عياد ـ سيد قطب ـ أنور المعداوى ـ محمد مندور ـ فاروق منيب ـ رجاء النقاش ـ حسن البندارى ـ فتحى العشرى .

كتب أجنبية ..عن أعماله

١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	بيروت	١٩٦٦ .
٢ ـ عالم محفوظ	عادل إلياس	الأنجلو (القاهرة)	١٩٧٢ .
٣ ـ دنيا محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٧٢ .
٤ ـ المرايا	روجر السن	أمريكا	١٩٧٢ .
٥ ـ روايات محفوظ	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٣ .
٦ ـ الرواية المصرية	هيلارى كيلبا تريك	لندن	١٩٧٤ .
٧ ـ الكرنك	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٩ .
٨ ـ حكايات حارتنا	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٠ .
٩ ـ أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	لندن	١٩٨١ .
١٠ ـ الرواية المصرية	على جاد	لندن	١٩٨٣ .
١١ ـ أعمال محفوظ	بيليد ماتينياهو	نيوجرسى	١٩٨٣ .

دراسات أجنبية .. عن أعماله

١ ـ دنيا الله	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٢ ـ الروايات والقصص	مناحم ميسون	هولندا	١٩٧٠ .
٣ ـ الزعبلاوى	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٠ .
٤ ـ أولاد حارتنا	فاتيكيوتس	بريطانيا	١٩٧١ .
٥ ـ المرايا	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٧٢ .
٦ ـ المرايا	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٧٣ .
٧ ـ نجيب محفوظ	منى نجيب ميخائيل	هولندا	١٩٧٤ .
٨ ـ الأدب العربى	ر. س . أوستيل	لندن	١٩٧٥ .
٩ ـ الرواية المصرية	صبرى حافظ	هولندا	١٩٧٦ .
١٠ ـ بين القصرين	حسن الشامى	أميريكا	١٩٧٦ .
١١ ـ زقاق المدق	فاطمة موسى	لندن	١٩٧٦ .
١٢ ـ النساء عند محفوظ	اكسيفير فرانسيس	هولندا	١٩٧٧ .
١٣ ـ الكرنك	تريفور لوجاسيك	واشنطن	١٩٧٧ .
١٤ ـ المجتمع الإسلامى	جابر ايبل ماثير	هولندا	١٩٨٤ .
١٥ ـ أولاد حارتنا	جرير أبو حيدر	هولندا	١٩٨٥ .

رسائل جامعية .. عنه

١ ـ ماجستير	أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	أكسفورد	١٩٦٣ .
٢ ـ دكتوراه	الأعمال الأدبية	بيليد ماتينياهو	كاليفورنيا	١٩٧١ .
٣ ـ دكتوراه	الروايات	اكسفيرفرانسيس	كولومبيا	١٩٧٢ .
٤ ـ دكتوراه	أدبه	منى نجيب ميخائيل	متشجان	١٩٧٢ .
٥ ـ دكتوراه	الرواية المصرية	على جاد	أكسفورد	١٩٧٤ .
٦ ـ دكتوراه	الأدب العربى	ر . س . أوستيل	لندن	١٩٧٥ .
٧ ـ دكتوراه	اللص والكلاب	عادل إلياس	أوكلاهوما	١٩٧٩ .
٨ ـ دكتوراه	التجديد والتقليد	عبد الوهاب الحاكمى	آلستر	١٩٧٩ .
٩ ـ دكتوراه	أهل القاهرة	سمير مصطفى	ألينويز	١٩٨٠ .
١٠ ـ دكتوراه	الواقعية	عدنان الوزان	أدنبرة	١٩٨١ .
١١ ـ دكتوراه	الموت	أحمد الروبى	متشجان	١٩٨٢ .
١٢ ـ دكتوراه	أدبه	محمد محمود	أكسفورد	١٩٨٢ .
١٣ ـ ماجستير	السلطة	ريتشارد كينيث	أريزونا	١٩٨٤ .
١٤ ـ دكتوراه	الروايات التاريخية	حسين يوسف حسين	أدنبرة	١٩٨٤ .
١٥ ـ دكتوراه	دراسة مقارنة	أ . البسام	آلستر	١٩٨٤ .
١٦ ـ دكتوراه	حضرة المحترم	رشيد الغسانى	آلستر	١٩٨٤ .
١٧ ـ دكتوراه	العبثية	منى شفيق فايد	ألينويز	١٩٨٤ .
١٨ ـ دكتوراه	بين القصرين	سعاد فطيم	آلستر	١٩٨٧ .
١٩ ـ ماجستير	زقاق المدق	سميحة صليب	كونيتيكيت	١٩٨٨ .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

رسم وتصميم محمد حجي

الحمد لله لولا الأستاذ
الزميل فتحي العشري لما
جمعت وجهات النظر هذه
في كتاب، فبفضله
فضله هو استخرج نوعيات
وبجرئ إعجابي بالموافقة بل
نشرها
إني أشكره وأرجو
أن يشاركني القارئ شكره

نجيب محفوظ
٧/٧/١٩٨٩

